

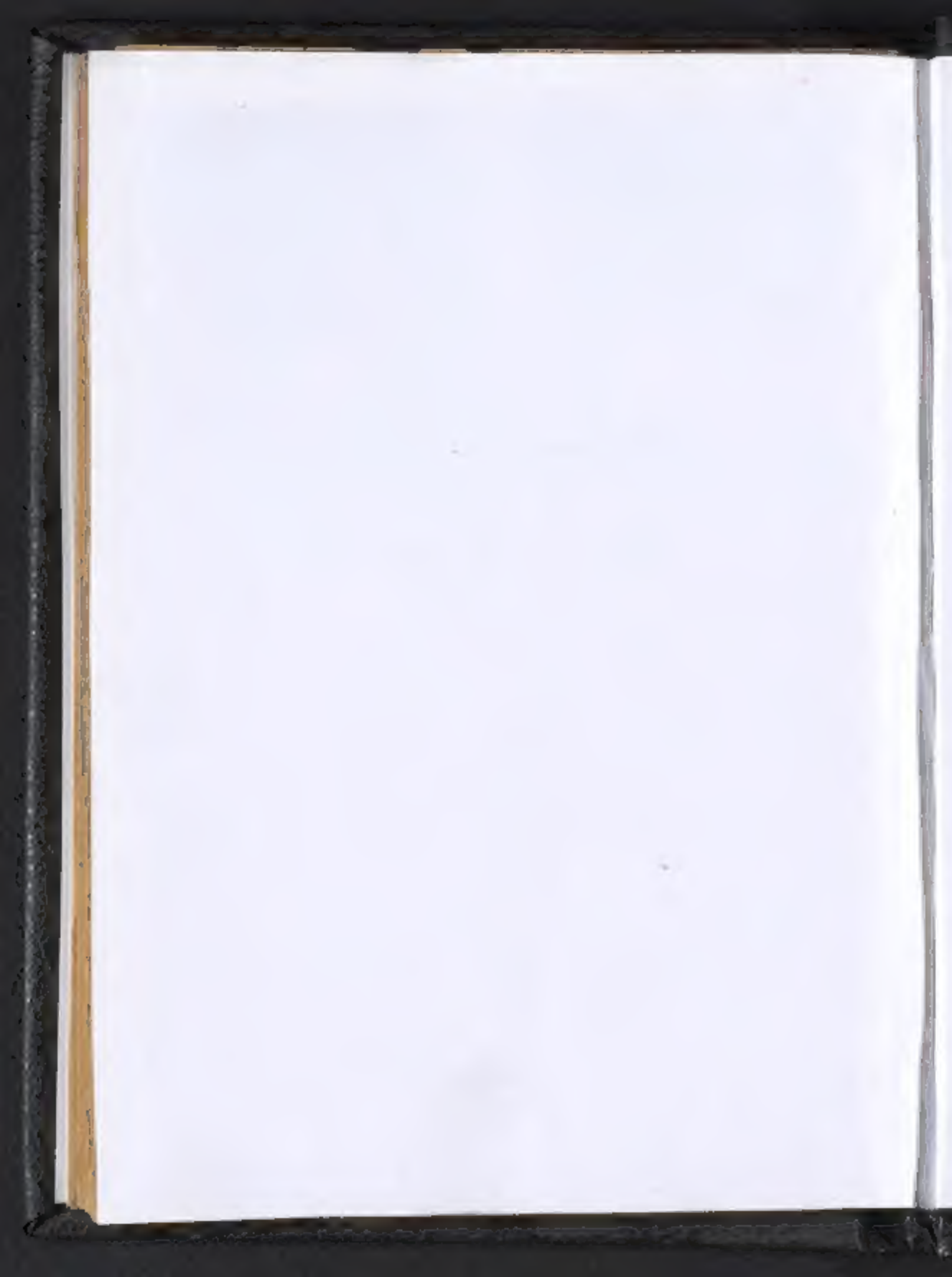
مكتبة  
الشيخ  
أحمد  
الحمودي

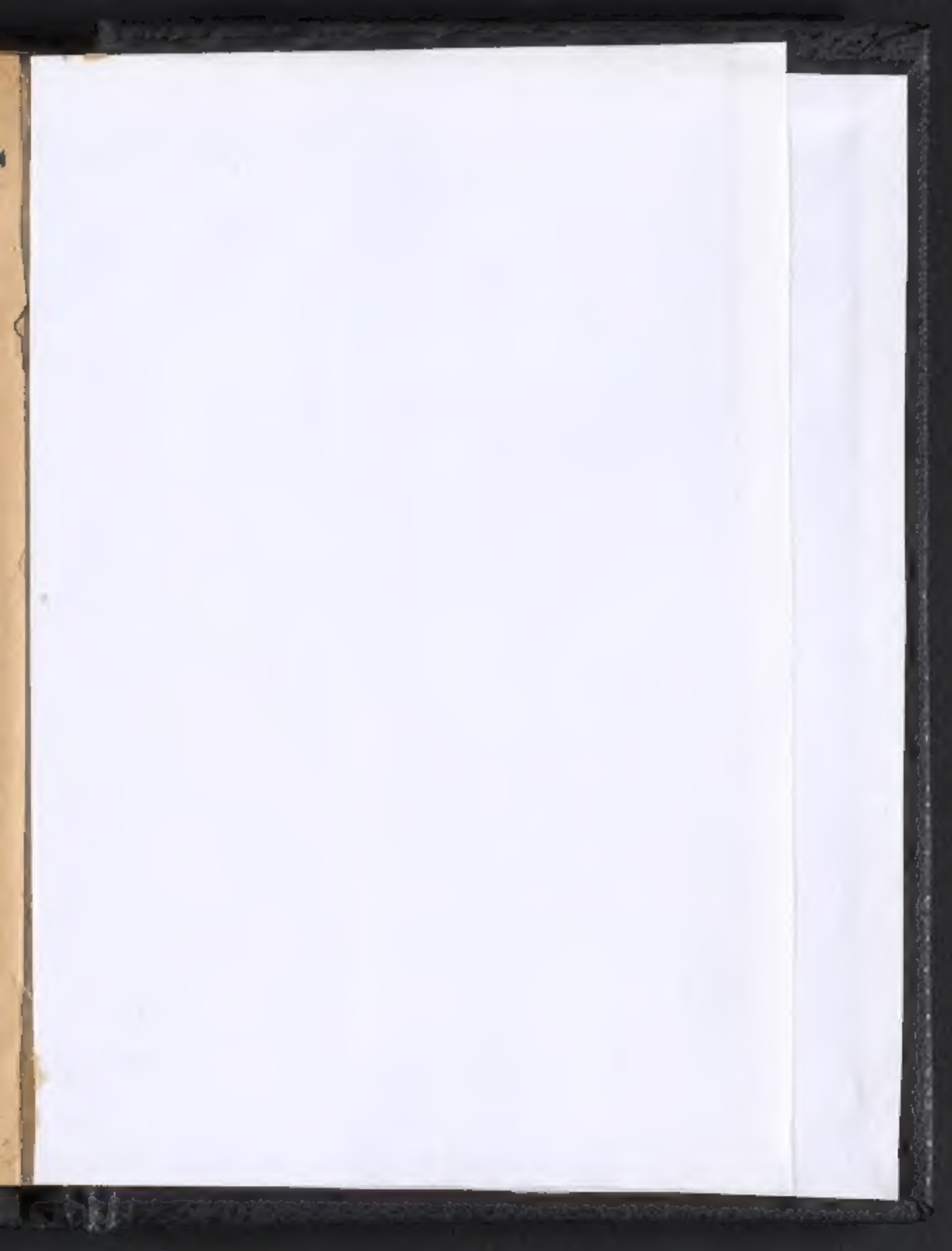
AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY



3 8534 01816 2655







الكتور أسعد طلس

DT

82.5

Sg

T35

1945

# مِصْرُ وَالشَّامِ فِي الغابروالحاضر

أما أمكم وقد أرمعننا من هواها ونحن نأبى القطاما  
إنما الشام والكنانة منوات برغم الخطوب عاشا لزاما

حافظ



مكتبة دار المعارف  
دار المعارف

بصر



930  
7/149  
٢

٩٥٦  
ط. ١ م

27710

دار المعازف

للطباعة والنشر

٧٠ شارع النجاة  
٢ ميدان محمد علي  
شارع مأمون الله بالقدس  
شارع السردار بالخرطوم

المحل الرئيسي بالقاهرة  
فروع الاسكندرية  
مكتب فلسطين وشرق الأردن  
مكتب السودان

## العلاقات التياضية بين مصر والشام خلال العصور

لا نعرف قطرين اشتبكت بينهما أواصر الصداقة والتعاون مثل مصر والشام<sup>(١)</sup> فإن العلاقات كانت جد قوية بين أهليهما منذ أقدم عصور التاريخ . ولا عجب فتاخذه الأرض للأرض قد سهلت الانتقال بينهما ووحدت بين عادات أهليهما وطبائعهما . وقد كانت مصر منذ فجر التاريخ تفتح أبواب دورها ومؤسساتها لاستقبال الشاميين فتقيم من تجارهم وذكائهم وحضارتهم ، كما كان المصريون يقدون على الديار الشامية فيجدون فيها أهلاً ويحلون سهلاً ويتمتعون بما يتمتعون به في بلادهم .

يقول مسييرو : إن السوريين قد نرحوا بكثرة إلى الديار المصرية منذ أيام الفراعنة ... وقد فتح البلاط الملكي المصري أبوابه لقبول عدد كبير منهم ليقوم بوظائف الوزارة والاستشارة . ويظهر أن الفراعنة المصريين كانوا منذ عهد الأسرة الفرعونية الأولى يطمعون في ضم  
(١) نقصد بالشام اصطلاح العرب القدماء وحدوده من جبال اللكام شمالاً إلى حدود مصر جنوباً

البلاد الشامية إلى مملكتهم وقد حاولوا ذلك مرات حتى نجحوا في  
 عهد تحتمس الأول ، فهو الذي وحد بين القطرين وعاش أهلوهما في  
 عهده عيشاً رغداً . ثم توالى الحن على القطرين معاً حتى جاء الفرعون  
 رمسيس الأول فوطد ملك مصر وضم إليه من جديد أكثر بلاد  
 الشام ، ثم رمسيس الثاني المشهور باسم سينوس تريس فوحد القطرين  
 سياسياً واقتصادياً ونشر على البلاد الشامية لواء الأمن وخلد عهده هذا  
 بالنقش الذي حفره على الصخر عند مصب نهر الكلب قرب بيروت .  
 وهكذا خضعت الشام لمصر فترة غير قصيرة ، ويظهر أن زعماء مصر  
 ضيقوا الخناق على الشاميين فوقت فتنة طويلة العهد بين البلدين  
 وانتهت بعقد صلح دائم كتب باللغة الحثية على صحيفة من الفضة ونقش  
 بالهيروغليفية على حيطان هيكل الكرنك وفيه يقول خيتا سارو ملك  
 الحثيين السوريين : « أتعهد منذ هذا النهار أن يستمر السلام والإخاء  
 الدائم بين بلادى وبلاد مصر وبين رعاياى ورعايا مصر فلن تنشأ بعد  
 اليوم عداوة بيننا ألبتة بل يكون ملك مصر أخاً لى وأكون أخاً له  
 كأن لنا قلباً واحداً » . ومن شروط هذه المعاهدة تسليم القتلة  
 والجرمين وإعادة المهاجرين من الصناع والفنانين ، وقد حافظ الطرفان  
 للمعاهدان على نصوص هذه المعاهدة قرابة قرن كامل ، وتوطدت  
 أواصر الصداقة والمودة بين البلدين بتزاوج البيتين المالكين فيهما وعاش



الناس في ظل هذا العهد السعيد دهرًا طويلًا ، ثم مرت بلاد الشام بفترة كانت فيها مستقلة أو كالمستقلة ويظهر أن المصريين ظلوا يسطعون بعض الشاميين ليسيظروا على بلادهم فيجعلوا منها حصنًا منيعًا بينها وبين بلاد الآشوريين والبابليين الذين كانوا يطمعون في السيطرة على مصر ولوبيا والحبشة والبحر الأحمر ، فماد نفوذ مصر على البلاد الشامية وظلت البلاد فترة طويلة والمصريون يرعونها أحسن رعاية حتى نكبت بالغزو الفارسي ثم بالغزو اليوناني فانفصل البلدان ، ولكن هذا الانفصال لم يدم طويلًا فإن البطالسة المصريين نشروا نفوذهم على أكثر البلاد الشامية فتوحد القطران من جديد . ثم جاء المصر الروماني و بسط نفوذه على الشام ومصر معًا وكان من تاريخهما ما هو معلوم مشهور . ولكن مما ينبغي أن نذكره هو أن البلاد الشامية لما نكبت بالغزو الفارسي الأخير في سنة ( ٦١٥ م ) ولقيت من الفظائع ما يعجز القلم عن تسميته لم نجد لها ملجأ إلا في القطر المصري الشقيق وبخاصة عاصمته الإسكندرية ، ويحدثنا بَئَرُ عن هذه الحادثة فيقول : لكن الملجأ الأكبر للهاربين الشاميين المشتتين من المسيحيين كان في القطر المصري ولا سيما الإسكندرية وكان عدد سكانها قد تزايد بما كان يرد إليها من اللاجئين الذين كانوا لا ينقطع سيلهم منذ ابتدأت غزوة الفرس في بلاد الشام . ونضيف إلى كلامه هذا أن

عطف المصريين على الشاميين في نكبتهم هذه لم يقتصر على استقبال  
اللاجئين بل كانت مصر ترسل إلى الشام القوات والذهب ، وقد ذهب  
بعض الرهبان المصريين إلى فلسطين يجوبون أرضها ويعملون على  
إعادة بناء الكنائس المحترقة وقد كان توفيق أحدهم عظيماً بإعادته  
بناء كنيسة بيت المقدس وإعادة رونقها إليها كما تمكن من إعادة  
بناء كنائس أخرى مع كثير من الدور والقصور ، وقد أحب أهل  
هذه المدينة المقدسة ذلك الراهب العظيم وأكبروا عمله فنادوا به [وكان  
اسمه مودستوس] زعيماً دينياً ودنيوياً عليهم وكان من جراء هذه  
الحادثة العظمى أن اتحدت الكنيسة القبطية والكنيسة الشامية ، ولما  
نكب المصريون بالغزو الفارسي سنة [٦١٦ م] وهدمت الإسكندرية  
وكثير من المدن المصرية قابل الشاميون الإحسان بالإحسان فأرسلوا  
الميرة والغذاء إلى إخوانهم المصريين وحوا من استطاعوا حمايته من  
القساوسة والرهبان والشيوخ والنساء والأطفال وحفظوا ما استطاعوا  
حفظه من الكتب والآثار الدينية والعلمية التي فتك بها الفاتك  
الفارسي القاتح فتكا ذريعاً وأرسل قسماً غير قليل منها إلى بلاده ، وقد  
كان حزن الشاميين عظيماً لما سمعوه من أخبار النكبة الكبرى التي  
حلت بالإسكندرية العظمى ، مقر العلم والآداب ومحجة الطلاب ومنار  
الهدى في الشرق من أقصاه إلى أقصاه ، ولا غرو فإن جامعة هذه

العاصمة كانت قبلة الشاميين يتعمون فيها العلم ويعتبرونها بيتها تتج  
قرايحهم لنقده ودرسه . وهكذا قويت العلاقات بين القطريين  
فانتشرت اللغة السريانية بين عضاء مصر حتى إننا نجد في مصر جمعة  
من العلماء السوريين كانوا قبل عمرو الأموي يراحمون الترجمة  
السريانية الأمازيغية و ترجمون كتب الفلك السبعينية إلى السريانية  
من جديد . كل ذلك في الدير مصرية الكبير المعروف باسم ( دير  
الهاطون ) . وقد كان للسوريين في مصر أديرة خاصة بهم ومنها الدير  
الذي لا يزال باقياً إلى عهدنا هذا في وادي البطرون الذي ولد سحر  
عنه : وأصل الدير السرياني الذي لا يزال إلى اليوم في صحراء وادي  
البطرون قد نشأ في ذلك الوقت عندما جاء إلى مصر كثير من  
السوريين وعلمائهم هربوا من خطر حرب الفرس

هذه لحظة مؤثرة جداً عن الصلات السياسية التي كانت بين البلدين  
قبل الإسلام أما الصلات العامة فسيحدث عنها فيما بعد وسترى أنها  
كانت حد قوية وأن هذين القطريين ما كانا إلا كقطر الواحد  
في حياته السياسية واتفاقيه منذ فجر التاريخ .

\*\*\*

ظهر الإسلام ومصر وانشأ تحت المهد البيرطلي الذي صدق  
القطران به واحد كل واحد منهما سعى للانفصال عن المملكة

المصرية ومما سبب ذلك الشعور لأمر ظهور الميراثى (هرقى) بالخلاف  
 لداخلى لقوى . وقد كثرت الاضطرابات الدينية والسياسية في مملكته  
 فصار موددى في لقط من ففتحت الش . ومصر . منها للعرب المسلمين  
 مصر . قطعة من جسم المملكة العربية الحديدة . وكان فتح  
 دمشق في سنة ( ١٤ هـ ) ثم فتح الإسكندرية في سنة ٢٢ هـ  
 وعمت هذه فترة فترة طويلا سكن فيها الشعب السوري  
 ومصري إلى الشعب . ومع وشاها في الأ من تلك الاضطرابات  
 التي كانت تقع في البلاد . سبب لاجلها لذهبية ، عادت الحياة  
 الدينية إلى حو هدى ، وأصبح القبط في مأمن على مذهبهم ، وسكن  
 العرب في عقيدتهم في طي العرب مسلمين ، وأصبحوا قمين على أنفسهم  
 ونههم ، وهرت البلاد في صدر عصر حكم الرشدين واستراحت ،  
 ولكن حدث حدث اضطرابات له البلاد الإسلامية جميعا وخاصة  
 مصر ، وهو مقتل الخليفة عثمان بن عفان ، فقد كان للمصريين ضلع  
 كبيرة في هذه القضية كما استعمل الشاميون هذا الحادث . قصت البلاد  
 فترة سيئة لا تستقر . لا عدل . توضع لأمر لمودة وفاء في الشعب . وعاد  
 عمرو بن . ص إلى مصر . وصفت مصر حول العهد الأموى تتجمع  
 زمراء صالحين ينفقهم لها بلاط دمشق للأموى ووفى أمير إمارة دمشق  
 إلى مصر هو عمرو بن العاص ( ٤٣ هـ ) ندى كان فيها من قبل



أميراً ودنياً والذى سار خضر حسن سيرة وعدل بين الرعية وأخيه  
الأقسط والمسلمون ولا يحب فقد كان من ذهى الدس وحسنه رتبة  
وتدبيراً ومن نعتهم دمشق إلى مصر من الأمراء عتبة بن نسي  
( ٢٤ ) هـ أخو معدوية وقد حمد مصر من سيرته فيها كما حمدوا  
عقله ودكاؤه ومصاحته . ومعه عتبة من عام الحبيب الصالحى اقرى  
الفرضى الشاعر الكاتب الذى دل عنه من تولى بردى : كان لأهل  
مصر فيه عمة ذ عظيم وله عليهم فضل ، فهو أول من شرفهم بالحدث  
وقد روى ابن نسي الحكيم فى ح مصرى الشهير أحاديثه التى فى  
المصريين عنه ومعه عند مريوس مرس ( ٨٨٦ ) ولد حسنة  
عمر وكان من أحسن الأمراء عمراً وسياسة وهو الذى من يكون  
فأعجبهته وبنيها مرس ومعه حسنة وعمره حسن عمرة وعمره حسنة  
وأكرمها وكان حواداً سيوساً ومعه عند ذلك من ردة عنه  
( ١٠٩ هـ ) وكان حسن السيرة عفيفاً عن الأموال فيه دين وعدل  
بالرعية وثقة وفضل ، وقد تولاهما مرسين .

هذا ولما اضطرب أمر الخلافة الأموية بموى سار من الدس فى  
بلاد الشام وهرموا الخليفة مريوس بن محمد فى دمشق لما يجد له مخرجاً  
يعصمه منهم ، لا فى مصر فالتجأ بها ونفى من هه عو ، فجمع جموعاً  
سارهم فقتل صالح بن على بن عبد الله بن عباس ، وكان لا يكتب له

المصر أمام حيوش حصومه القوية فقبل ودخل صالح لمسطط في  
 ٨ محرم سنة ١٢٣٣ هـ ونعت برؤس مره ان إلى الشام والعراق . ودالت  
 دولة بني أمية .

\*\*\*

جاء لعصر العباسي فترات معاملة المحجمة عن العاصمة الأموية ،  
 ونجح الفتح العباسي دمشق ثلاث ساعات وقيل أكثر ، ووضع السيف  
 في أهله ولم يزل جماعته يحرقون أربابهم في الطرق والمساكن وأحدون  
 لأموال . الأولاد وقتلوا أعضاء ولأمرأ حتى في مسجد الخدم ،  
 فقد انتهك حرمة فهدموا محرابه وأحرقوه وحرقوا عذبه وحملوه  
 اصطلاً لدوابهم وقتلوا حبة . من أهل الدمة من اليهود والمصري ،  
 لا يخلصون ، كما حرقوا معبدهم ، وشبه قمر الحلائف من أمية وقصوا  
 سور المدينة أما مصر فلم يكن حالها أفضل من حال دمشق ،  
 قال ابن تغري بردي : ولما دلى صالح مصر نعت بيعة أهل مصر  
 لأمر المؤمنين عبد الله اسدح ثم أخذ صالح في إصلاح أمر مصر وقص  
 على جمع كبير من المصريين لأموال وفنل كثير من شيعة بني أمية  
 وحملوا نعمة منهم إلى أراق وقتلوا بقسوة من أرض فلسطين .  
 ثم بقى صالح في مصر لا شهيراً وإن اسدح نعت به أميراً على فلسطين  
 وهى ثا عيون من ريد على مصر . وقد كان نوعون هذا طشت فكاً

شر عليه قسطنطين مصر بسوء قتل مائة عظماء و اضطرت الشام  
 ومصر لذلك . وما مات اسدح سنة ١٣٦ هـ ثارت دمشق وحملت  
 الخلافة العباسية و دامت عشر سنين يرد بن خالد بن يزيد بن معاوية  
 فتوجه اليهم صالح بن علي من فلسطين و عمل فيهم سبيهم و هربوا  
 و هو منهم تميم من العبط . وفي عهد المنصور ولى ابو مسلم الخراساني  
 مصر و الشام معه فلم يقل لأنه كان واسع آملا كما ذكر ذلك صاحب  
 النجوم اراهم ، و قل ابو مسلم في ذلك و هو عصب : يوتي مصر و الشام  
 و انالي خراسان . و عمره على الشر من يومئذ تم كان من امره ما كان .  
 وفي أيام المنصور محضته كثير تغيير لأمره على الشام و مصر و لم يستمر  
 فيها مبرأ أكثر من سنة . و من الشر في ذلك تخوف بن العباس  
 من استقلال أمير همدان القطر بن مهدي . على أن بعض خلفاء بني العباس  
 كانوا كثيراً ما يجمعون همدان القطر بن الأمير أحمد كالدلي فعله الرشيد  
 مع أبي مسلم عند ملك بن صالح العدمي فقد كان و اليه على مصر و الشام  
 وفي أيام المأمون جمعت ولاية مصر و الشام طاهر بن الحسين ، و يظهر  
 أن المصريين كانوا مثل الشاميين كرهة بن العباس . أما الشاميون  
 فكانوا كثيراً ما يتحيمون العرب لاجل من بنى العباس لأنهم  
 رأوا أن روال الدولة الأموية كان رولا لحد العرب و ربه شأن العجم  
 ولهذا لم تكن فترة في بناء بني العباس من ثورات و انتفاضات كثيرة

حبیب بن مرة الدهری ، وثورة أهل حوران ، وثورة نبي محمد زياد  
 ابن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية ، وثورة أهل حمص ،  
 وثورة السعدي علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية ، ومن أعظم  
 هذه الثورات الثورة التي قام بها أهل دمشق على واليهم المنصور  
 ابن المهدي وقد طالت مدة هذه الفتنة منتهية حتى أخضعه عبد الله بن طاهر  
 سنة ٢١٠ هـ ، ومنها ثورة الشمين في عهد المتوكل على واليهم سالم  
 ابن حمد طاه وصد الأشراف وقد قنوه على باب الخصر - قصر  
 معدية ومقر الخلافة الأموية - ومنعت الخليفة المتوكل لذلك لما بلغه  
 وقال : من لدمشق ويكن في صولة الخراج ؟ فقدم له : أفر دون التركي ،  
 فخره إياها في سبعة آلاف وأدخله فيها لقتل واليها الثلاثة أنه وهكذا  
 فعل وفي سنة ٢٢٧ هـ تبايع الشامي تميم الدجني ، وجمع الطاعة  
 ودعا إلى نفسه في بلاد الشام فتمعه حاق كبير من المزارعين وغيرهم  
 وقوا هذا هو السعدي الذي ينفذ الشام واستعمل أمره حذا حتى  
 صارت جماعته تزيد على مائة ألف وفي سنة ٢٥٠ هـ وثب أهل حمص  
 عليهم فقتلوه فوجه إليهم الخليفة مستعين من خارجهم فهرمهم بين  
 حمص ، لاسن ، وفتح حمص وحرق المدينة ، ثم ثاروا بعد عهد  
 قصير ثانية فأرسل إليهم الخليفة عمالاً حرق فدخل بلادهم عبوة وأباحها  
 ثلاثة أيام وطرحوا الدار في مديده .



و بعد فلو وجد بعد ذلك ثورات الشاميين على لولاية العباسيين  
 بعد ذلك الشيء الكثير ، ولا يحب في العمه كانوا يحمون إلى العهد  
 الأموي وبكرهم من هؤلاء املاة الأثران القصة الذين كانت تمتع  
 بهم بغداد .

أما مصر فما كانت أهذا بالأ في ولاية يزيد بن حاتم فهاهي عليها  
 ظهرت دعوة بني علي فيها ونكاه الحسن بن وناح كثير منهم امي الحسن  
 في السطر وماحت الحسن بن نصر وكاد امر بني علي بن يته والبيعة كانت  
 باسم علي بن محمد بن عبد الله ، ويحيى كان الحسن في ذلك يدا به يزيد  
 يقدم رأس ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب  
 سنة ١٢٥ هـ . فمصب في المسجد أياما وسكن الحسن على مصر .

وفي ولاية واصح بن عبد الله المصوري سنة ١٦٢ هـ خرج إدريس  
 بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، وكان واصح  
 يمين إلى العلويين فحمله على الفرار إلى المغرب وذلك ما لم يسمع  
 الخليفة اهدى طالب وفتح وقتله وصله سنة ١٦٩ هـ . وفي ولاية  
 ابراهيم بن صالح العباسي سنة ١٦٥ خرج دحية بن المصعب بن الأصعب  
 ابن عبد العزيز بن مروان الأموي بالصعيد ودعا نفسه بالخلافة  
 واستعمل أمره وكاد أن يتم حتى ولي مصر الفص بن صالح سنة ١٦٩ هـ  
 فأسره وقتله وبعث رأسه إلى الخليفة الهادي . وفي ولاية إسحاق بن يحيى

الختي ناز العاويون بمصر سنة ٢٣٥ هـ فخرجوا من ديارهم . وكان أهل  
الخوف المصري من عرب قفس وقصعة واليمن كثيراً ما يشورون على  
الأمراء العباسيين في مصر ويريدون استجدوا بأحوالهم الشاميين فأنحدوهم  
على الأمر العباسيين . ونخبز أهل الخوف ونوراتهم كثيرة جداً  
في هذه الفترة

وصيغة الحكم على العصر العباسي في دوره الأول عصر والشام  
هذين القطرين كان بملاحة معاملة ، حدة ويسيران سياسة واحدة  
ومن يلاحظ خطوط التاريخ في تلك الفترة يجد أن البلاد لم تكن  
تعمل بالحقس وأخير إلا في عهد حليفتين اثنين : الرشيد وأمه أمون  
فقد كان بعض على هذين القطرين ويخصهما ، فصل العمل والرجال  
ويوحس عليهم لرفعة والرحمة والعدل ، وفي عهد هذين الخليفين فقط  
قلت نورات الشامين ومصرين على بغداد وإليه الحق أن قول إن  
هذين القطرين قد عتد فوضي في حكم بعد عصر هذين الخليفين ،  
ثم جاء عصر المتوكل حتى اضطرب أمر البلاد ودخل لوهم إلى سياستهم  
فبعد أن كان الخلفاء يرسلون إلى دمشق والمسقط أشرف أهل البيت  
العباسي للحكم فيهم أحداً يجد العمل نرا كما أو مولدين كأفريدون  
التركي الطاعية وحقق التركي الخليفة ومراحم من حواف وأرجو من  
أولوع وغيرهم ، وقد لاحظ هذا الأمر مؤرخون قدماء وحدد حتى قال

صاحب النجوم الزاهرة في نشأته كلامه على ولاية عيسى بن إسحاق :  
وعيسى هذا هو آخر من ولي مصر من العرب وآخر أمير صلى في  
المسجد الجامع . وقال كرد علي : وبعد أن كانت بغداد ترسل إلى  
الشام أولاد الخلفاء وأعظم قوادها من الأصول أصبحت ترسل إليها  
من العروغ أفريدون التركي وحفان التركي ومحمد مولى من الموالى فظهر  
الفرق في صورة الحكم لأن الحكم في العلب كان ورداً لا علاقة  
للجماعة به إلا إذا أحب صاحب الأمر استشارة صاحب الرأي  
استشارة خاصة .

والحق أن بلاد الشام ومصر أقيمت من الملوك المعددين الشيء  
الكثير وخصوصاً في الفترة التي وبت عصر فتوكل وبمقتضى إلى عهد  
المعتمد في عهد المعتمد هذا سيطر أحمد بن طولون على مصر والشام  
سيطرة تامة مدة اثنتي عشرة سنة ، ثم جاء بعده وحده حمويه  
وحشم وهرون وشيبي فسيطروا على البلاد إلى أن انقرضت دولتهم .  
وباستيلاء الطولونيين على الشام ومصر شعر أهلها أنهم مستقلون تماماً  
عن بغداد ، وأن في استصاعتهم إذا هم هبوا جيشاً على رأسه أحمد بن  
طولون أو أسه جيش أن يقوموا بعمل ناهرة وأن يحوا من السلطان  
التركي العشم وأن يشتبوا لأنفسهم دولة ذات سيادة ، فكان ذلك  
وكانت الدولة الطولونية ذات « الطاع » الخاضعة في الخضارة والعمران .

قال كرد علي : « ورثت مصر والشام أنهما إذا أممتا حكومة  
واحدة نصمحت دونه قوية يهرب منها » ثم به من واحد أن تقوم  
به أولاً بحى حيوش مصر الطولية إلى الشام لإثباتها من خطر  
الفرامضة في واحة القرن الثالث لكات الشام وأمة تحت شر مستطير ،  
ولكن بفصل الحيوش بمصرية حصت الشام ومصر من القرامطة  
الطبيين الأشهر دهر طويلاً بعد أن كاد يعودهم يقوى بملاة طامة  
من عاه الله من لهم . وهكذا سكنت البلاد وأطمأنت بفصل حيوش  
مصر . ولكن يصهر أن بغداد لم يرها هذا الأمر وهي بعد تريد مصر  
والشام حاضرين لها من نى يعود آخر ، فأحدث تدر الدسائس ونعم  
على القصد ، على الدولة الطولية حتى توقفت فقصت عليهم سنة ٢٩٢ هـ  
بعد عمر طوله نحو أربعين سنة بقيت بلاد الشام ومصر فيه كل خير  
وهذا . وما من قصى على الدولة الطولية حتى بعث خليفة بغداد  
المعتصم محمد بن سابق الكاتب فاستولى على دمشق ، ثم سار نحو  
مصر وقضى على أبناء الطغمة بين وقتهم وهم نحو عشرين إنساناً دسهم  
بين يديه كما تدفع الناحية وأنشخص من استغفهم منهم إلى بغداد .  
وقد ضمت بغداد شامها فاستغفمت من الشام ومصر ، ولكنهم لم تمت  
أن فوحتت بدولة أخرى استغفمت من الشام ومصر معاً ، تلك هى الدولة  
الإحييدية ، ولا يجب فإن الاضطراب انتهى كانت فيه الدولة العباسية ،



كان من مستلزماته أن تعقد مصر و الشام على عدد لواء الإدارة  
لمركزية ومساعد رجله . والدولة لإحشيدية وكانت قبل من الدولة  
الطاهلوية تشاء عمر بستانه إدارياً . وفيها كانت فصل كثير دولة  
بغداد . و أول من جمع بين كرم ومصر من لإحشيديين هو محمد بن ضريح  
الإحشيد وكان ذلك سنة ٣٢٣ هـ . ومحمد هذا كان حذوياً في إدارته  
وسياسته مقدماً حراً حسن السيرة . وكنت كن معه توجراً وعلى  
ومع لاه كاهن . وقد سيطروا جميعاً على قطرين الشامي ومصري .  
وأصبحت البلاد في عهد كاهن على خير حال عشت وهذه سنة .  
ولا عجب فقد كان كاهن كاهن يدهي يدهي الشعر . ويحضرهم .  
وكان قرأ عنده كل ليلة السير وأحضر الهدية لأمة وألمسية .  
وكان كريماً كثير الخلق . صاحب حياء سياسي قصه ذكره حيد العبد  
داهية . وكان يدهي معر صاحب معر . ويظهر ميه . به . وكذا  
يدعن باطعة ميه العبد . وكان وريره هو العبد حفر من أمة  
راعه في الخير وهدى . ومن كان في خدمته من العبد . هو إسحق . ترهيم  
ان عبد الله المجيد . صاحب الخراج . وكان يدوم الخدم من عدوة  
وعشية لقضاء حوائج الناس . . .

وصورة القول أن البلاد كانت في عهده على حسن حال .  
ولما توفي اجتمع الأولياء . وتعقدوا وتمهدوا لا يحسنوا . وكتبوا بذلك

كتباً وعقدوا الولاية لأحمد بن علي لأحشيدى ودعوا له على مبار  
 الشام ومصر والحجر وجمعوا التدبير لأحمد بن عبيد الله بن طمعج  
 ولوزارة لأن العرات وكان ذلك سنة ٣٥٧ هـ . ولما قويت حركات  
 اصبية في الشام ذهب الحسن بن عبيد الله بن طمعج إلى الشام معه  
 بعضى على حركاتهم فهرموه واستولوا على الشام ثم لما رجع إلى مصر  
 وجد أن الجند الأثرث قد ثابروا على ابن العرات ، وطالبوه بمال  
 لا قدرة له عليه وقاموا وسبوا داره ودور أهله وحاشيته ، وكتب  
 بمعه إلى مصر أن يصرى يستدعونه ، رضى الحسن بن عبيد الله بن طمعج  
 كل وقت فهذا الأمر . ثم اضطروا إلى العودة إلى الشام وسمي هو  
 فيها بسمه حم وصلى عليه كرم الله طمعى صخرة جوهر الصقلي واستبلاؤه  
 على مصر . وهكذا انقضت الدولة لأحشيدية بعد أن حكمت مصر  
 والشام أربعاً وثلاثين سنة . وما لبث المسلمون قبلاً في مصر  
 خطمون أموالهم حتى تشاء الخيوش في الشام بمقبحها وكان على رأسها  
 لأمير حمير بن فلاح أمييدى فذهب إلى دمشق وحارب الحسن  
 ابن عبيد الله بن طمعج وأمره ومهد البلاد . وقد بقيت الشام في هذه  
 الفترات عنتاً كبيراً من القرامطة . وكان الخمد ، لمطميين كانوا دائماً  
 يطردوهم عن أهلها ، ولم يكن القرامطة وحدهم هم الذين يمسدون  
 البلاد بل كان هناك الروم الذين كانوا يوقعون أهل البلاد وكان سيف

الدولة بن حمدان يقف أمامهم في حماته وهداك وجميعه اسمه أو معالي  
استحلف به تقفون معك الروم وطعن في السيطرة على الشام كله ولكن  
لمصريين لم تقفوا مكتم في الأيدي أمام هذا العدو القوي ، ورسلاوا  
أما محمود بن جعفر بن فلاح إلى الشام في عسكر يقبل به عشرون ألفاً  
وحمل دمشق وعاد الروم أرض الشام سنة ٣٦٤ هـ بعد أن  
كانوا قد سيطروا عليها وعلى طبرك وصيدا وبيروت وجبيل  
حروم وسهمود .

وقد قضى الشام فترة في العزلة مع هي من شرفرت حماه ،  
فقد كان يتنازع كل من المصبيين ، الممسين أو الألبان كالحمامين  
والعقييين ، وقد كان المصبيين شديدي الحرس على استنفاد الشام  
تامة مصر ، بين الملاحين من العلاقات ، وقد يدمر في ذلك شدة عض  
وجيشه حيوشاً كثيرة حتى إلى الخليفة العزيز المصطفى صار مرة نفسه  
على رأس سبعين ألفاً لاستخلاص الشام من الترامطة وولاية الممسين  
ولما وصل الرملة من أرض فلسطين فند الترامطة وأفتكين غلام  
عبد الدولة الموحدي وكان يومئذ متعلماً على الشام فخدمه العزيز  
وهرب أفتكين من العزيز إلى أن أحصره إليه ألف دينار فأحصره  
مفرج بن دعلج العقيلي إلى العزيز فكرمه وأتم عنه وأحده معه إلى  
مصر واستنفذه فيها إلى أن مات مريضاً وأما صاحب القرامطة فلاحه

العرير أيضاً ونقصه الأملون وريش وطب إليه أن يصرف من  
الدير الشامية إلى الأحساء، وهكذا كان. ولم يبق أمه المعاطمين حصوم  
قوياء يدفعهم عن الشام إلا الحمديين.

ولما مات أبو المعلى بن سيف بدوة، حقه اسمه أبو الفاضل  
بن العرير بن أوقت قدحان لاستصفه الشام وإبقده من الاضطراب  
الذي كان فيه والحدوث بين المدينين فسير حيث قوتاً إلى حلب  
وعلمه معجونيكيين ووقع الفاضل عليه وبين الحمدانيين في أفاعية  
قعة مسبق سنة ٣٨٢ هـ شهر المحرم ثم دخل معجونيكيين  
حلب فاستقر أبو الفاضل بمسبيل ملك الروم على المصريين فكتب  
رسيل إلى شامه في أنطاكية أن يصرفنا الفاضل بحش حلب،  
فصار على مصر من بذلك عمرو العاصي وفتحوا الروم قبل أن يفتحوهم  
وفتح مصر من الروم وهرموهم ورحلهم إلى أنطاكية وأكثروا  
فيهم فقتل.

والأصاكي : قبل من الروم في هذه الوقعة التي دعيت وقعة  
الحصاة سنة ٣٨٢ هـ، حصة آلاف وسار المصريون إلى أنطاكية  
ففتحوها ثم رحلوا إلى حلب. وكانت الجيوش المصرية أن تسيطر  
على الشام جميعه لولا أنها نصبت مخيمها أرغمتها ألا وهي طمع  
معجونيكيين وحروجه على الخيمة العظمى وإعلانه الاستقلال بالشام



لما رأى من قوره العظيم . فآمر من الحليفة به حذر هرموه واعدوا  
 الشام إلى الخطيرة القاصمية كما فعل ذلك بن مسكويه في تاريخه .  
 ومن الحوادث المزعجة التي حوت في الشام في تلك الفترة ثورة أهل  
 صور سنة ٣٨٧ هـ بقيادة ملاح سمع علاقه فقد ثار هذا على العاطمين  
 وصرب السكة باسمه وكتب عيب « عمر بعددقة الأمير علاقه » .  
 وقد أرسل إليه الخليفة المصري سطوة مآذيه فاستجبر علاقه فملك  
 الروم وقد أنفذ إليه هذا عدة مراكب وبنى الأسطولان المصري  
 والرومي فهزم الروم وكتب النصر الأسطول المصري . فأتت ترى  
 في هذه الحقبة القصيرة من ثامن استعبد رحبين أمين بروج على  
 في حشمهما يستمتع بملك وشونه وفي عهد احكام دمر الله ثار  
 الأعراب سنة ٤٠٤ هـ بقيادة مخرج بن دعبل من الخراج على الشام  
 وقتلوا زعماء ودمروا مصرى على امدية . فدمروا متعنين عليه ففسدوا  
 البلاد وهرت كثير من زعماء البصرة إلى بلاد بروج والادوية  
 وانطاكية ولم تسكن البلاد إلا بعد ان عاد إليها المصريون واعدوا  
 إليها السكينة والطمأنينة .

وفي عهد الحاكم دمر الله أيضاً سنة ٤٢١ هـ سرزموس ملك  
 الروم إلى الشام كما يقول ابن امهدب مغربي وقد جاء معه غزو الشام  
 ملوك الفرنجة جميعاً مثل ملك المماليك وملك الروم والأدس والحرر

والأدمن والمجيث والفرح في جمع عظيم يريد على ستمائة ألف مقاتل  
فقدّمهم المصريين والشاميون جميعاً وهم موهم وعموا منهم ما لا يحصى  
وأُسروا جمعة من أولاد ميوك . يظهر أن هذه العروة هي غروة  
صينية رادت أوروبا نوحياً على بلاد الشام . وقد نصب الشام  
في عهد الحكيم نصب مصر من العت والاضطراب فكما أنه  
خرب كنس مصر كذلك خرب كنس دمشق وقدس ونقص  
بعض كنس يده وفر من تعمير مدخل المسلمين وأمر بالمد .  
من أورد للإسلام فليسلم ومن أورد لاسفل إلى بلاد الروم كان آمراً  
إلى أن يخرج

وقد خرج كثير من المسلمين إلى بلاد الروم . ثم عاد الحاكم فبنى  
كنس المصري وفي عهد الحكيم هذا انتشر المذهب الدرزي في  
البلاد الشامية وكان دعاة لطيفين قد ملأوا البلاد وسيطروا على  
الشام . وفي عهد الظاهر ابن الحكيم ثار لمرد سيون وحسن بن الخراج  
واستهوا على كثير بلاد الشام فزس إليهم الخليفة حيث مصرية على  
رأسه لم يند وشتكين الدرزي فأعاد إلى البلاد هدوءها وأدخلها في  
الخطيرة لمصرية من جديد . وقد ظل أنوشتكين إلى عهد المستنصر  
ابن العزيز أميراً على الشام إلى أن مات سنة ٥٤٣٣ هـ فعدت البدو إلى  
الثورات وقضت البلاد عهداً مشؤماً تمسكها فيه البدو والأعراب

والروم ، ولم تسكن حتى عاد إليها مصريون بقيادة مكين الدولة  
الحسين بن علي فهذه الأمور وعقد الاتفاقات مع الروم . وفي سنة ٤٤٦ هـ  
نقص الروم عهدهم مع صاحب مصر المستنصر وكانوا يمهّدون بأن  
يبعثوا إليه أربعائة ألف أردب من العلال بسبب المحط في مصر  
فجهز المستنصر جيشاً عظيماً على رأسه مكين الدولة الحسين بن علي  
ووردى في مصر وسائر البلاد وأجهد إلى بلاد الروم . وكانت  
وفاء كثيرة كانت العدة فيها لمصريين والشاميين ولما عظم نفوذ  
مصر في الشام طمعت في السيطرة على بغداد والعراق فتم هذا ذلك  
وحطاب للمستنصر الفاطمي على مصر بعد دعوته في الحديث أرسلان  
التركي البساسيري ( سنة ٤٥١ هـ ) ثم كان أن قتل البساسيري  
وقطعت الخطة من بغداد وفي ساطع مصر محمداً في الشام وما إليه  
ولكن ما لبث نفوذ مصر أن أخذ يذهب في يد الشامية أيضاً  
لضعف الدولة في مصر نفسها ، ووقعت فتن كثيرة بين أحمد مصري  
والشاميين والحق أن أحمد المصري قد ضعف أمره بعد موت  
الحاكم ، ولولا ظهور سيده نفوس - ست منته وقومها بالأمر  
خير قيه لدالت الدولة منذ عهد بعد . ولكن لم يحكمها وسيطتها  
أعادت بعد عصاره بعد أن نصب في واحد عهد الحاكم هو  
معروف مشهور . ولما جاء إليه الظاهر حسنت لأحوال قبلا لأنه

كان مستقيماً حسن الإدارة محمد جاء به المستنصر عدد لا يحصى  
من الحديد وأحدث الملاحة من سوء الإدارة وكثرة تغير العمل  
وتسقط الروه وتعامله بين حين وآخر . وأحق أن يستعاضوا به  
بمخسر ضده عن الديار الثمانية بعد عهد المستنصر والسبب في ذلك  
ضعف المظبيين عسكرياً وإدارياً وفي حشده بعد أن كان في عصر  
المعز والعزير يريد على شرفه فمقابل قوى حتى قيل إن أرض  
مصر لم تطأها حسن بعد حمله الإسكندر أكثر من حيوش  
المعز العاطمي

أقول إن هذا حشيش انتهى أصبح هزيباً في عهد المستنصر فتعزق  
شمل ملك أعظم أدى سطر على المغرب ومصر والشام والحجاز  
في عهد وكفى يسمى أن سيطر على مصر ومصر وأحيى الشام .  
قال بعضي : وفي سنة ٥٩١ هـ وهبت دولتهم وانقضت دعوتهم من أكثر  
بلاد الشام وسنوى عديدهم لأتركهم وأمرهم ورأى الله على نبط كبة  
وحصرها ثمانية أشهر سنة ٥٩١ هـ وأخذوا المعرة والقدس سنة ٥٩٢ هـ  
ومد هذا حين سيطرت الموحدين على البلاد الشمالية واسطوا بمودم  
عسكراً وحسبوا يعملون على استعادة مصر نفسها وبولا ظهور  
العصر ورأى الله محمد بن ركني وصلاح الدين يوسف بن أيوب لقضى  
الفرجة على مصر والشام قصصاً معروفاً . وقت سيطر الفرنجة على كثير من

من لثم صق أهل درعهم واستعنو بمصر لنسجدهم وتي  
له بذلك وبلادها هي في القوسى عرفة. قل الدعى الهروى من  
قصيدة يستغيث بالمصريين مما حل بالشاه :

مرحبا دماء بالدموع السواح

فلم يبق منه عرصة مرزوح

وكيف تمام العرس من جفون

على هبوب أبقط كل نام

وإخوانك بالشام صحنى مقدمه

طهور لمداكى أو أطول انقشع

أرى متى لا شمع على إى - أعدا

رمحهم ولدين واهى الدعائم

ويتهم إدا لم يلدودوا حميه

عن الدين صوا عتبة بالحرم

وإدا رهدوا فى الآخر بدحى أو عى

فهلا نوه رعية فى العدم

وفى عهد الحافظ الفاطمى لمع نجم مر لدين محمود ، وأحد بقدر

الشام من أبدي العريضة ، فى سنة ٥٤٣ هـ افتتح مر لدين حصن

ارتاح ، شمانى حلب وكل هذا الفتوح فى الفتوح التركىة فى الملاد ،

ثم استمرت الفتوح ونحزرت البلاد الثمينة واحدة بعد واحدة ، ولما  
عرف الصليبيون تضعف الأمر في الديار المصرية جهروا حبشاً  
سنة ٥٦٢ هـ برؤوس الأسديلاء على مصر فحذوا مدينة بلبيس  
وقتوا وأسروا ثم حاصروا القاهرة من ناحية باب الشعربة — كما يقول  
السيوطي — فمزاوريز شور الدين بن يحرقوا مصر فحرقوا بالدم  
بأيديهم وأسفوا من القاهرة فهتت العاصمة ، وذهبت لئاس أموال  
لا تحصى وبقيت الدار تعمل في مصر أربعة وخمسين يوماً ، فعند  
ذلك أرسل الخليفة المعتمد آخر خلفاء الدطمين في مصر يستغيث نور  
الدين ، ثم إليه شعور بانه مع رسالة يقول فيها : أدركني واستنقذ  
نسائي من الغرغرة ، فظهر نور الدين الجيوش وعيها أسد الدين شيركوه  
ابن شور مع ابن أخيه صلاح الدين ، فدخلوا القاهرة ورجع الفرنجة  
وعظم أمر الدولة السلجوقية في مصر من يومئذ ، ثم بدأ صلاح الدين يقصى  
على الدطمين ، فعزل وحطت للمسلمين في مصر فاشم .

وهكذا انقضت الدولة الدطمية من مصر والشام وحلت محلها الدولة  
الأيوبية منذ سنة ٥٦٧ هـ . وفي سنة ٥٨٢ هـ قسم صلاح الدين المملكة  
بين أهل بيته ، فأعطى مصر ولده العزيز عثمان ، والشام ولده الأفضل ،  
وحلب ولده الطاهر ، وأعطى أخاه العادل ثانياً بكر إقطاعات كثيرة  
بمصر ، وجعله نائباً ولده العزيز فيها ، وأعطى لابن أخيه مظفر حماة



ولعرة ومسج وميادقبن وخذعت ثوب الأيوبيون على الشام ومصر .  
 ولا ندري كانت الشام في العهد الأيوبي تابعة لمصر أم مصر تابعة  
 للشام ، فإن صلاح الدين كان قيمي هـ . وهالك ولد هات صلاح الدين  
 سيطر نحوه القدس صاحب مصر على المملكة وسبق بعوده عليها  
 وجعل من مصر عاصمة ملك الأيوبي لأوسع في حياته ولم مات  
 سنة ٦١٥ هـ كان قد قسم ملك بين أولاده كما فعل أخوه ، فحصل  
 مصر الكامل محمد والمدشق والقدس وبنوهم لمعظم عسكى ،  
 والحريزة ومعه قيس الأشرف مدمسى وبنوهم للشهاب غازى ، وقلعة  
 حبر الحافظ زسال شه ، وقد طلقوا متآحين بعد موت أبيهم ، ولم  
 يطمع أحد منهم في ملك أخيه ومقوا أشكال حسن ، وكروا كعفس  
 أو واحدة قال ابن الأثير : ولا حرم راد ملكهم ورؤ من بعد الأمر  
 والحكم ما لم يره أبوهم ولعمري ، به لهم ميوه وهم حكموا بعده ولدت  
 عن الإسلام

ومن أهم الحوادث في هذه الفترة هجوم الصليبيين متمكنين في دمياط  
 على منصورة ، وقد وقع قتال عظيم بين الصليبيين والأيوبيين سنة ٦١٨ هـ .  
 فاستدجد ملك الكمل نحوه ، فبعث كل واحد منهم جيشاً عظيماً ،  
 وقد طالت المعركة ، وترددت برس بين الفريقين واسعى الأمر  
 بأن يسلم لأيوبيون للصليبيين مدينة القدس واستقلال وطارية

واللادقية وحملة وجميع اسحل ماعدا لكرك والشوك على أن  
يلقوا السلاح ويسموا دميطة لاسمين فلم يقبل لفرجة وطلبوا فوق  
ذلك ثلثة نف دبصار عوضاً عن تحرير سور القدس كما طلبوا  
الكرك وثلثة نف ، رنى مصر يون تعنت الصيديين عبر جمعة  
مهم في بحر ( الحية ) لأرض لى عيبها لفرجة من بلاد دميطة وخرروا  
حملة عظيمة من بحر ليس وكان ذلك في قوة ربه دته فرك الماء على  
ذلك لأرض وصار حلال بين الفريخ و من دميطة و قطعت عنهم ديرة  
وامدد فمعو اصحاب الأمن وقلوا شروط التي شرطها المصريون ،  
ثم رلوا عن كل شىء وقلوا تسليم دميطة تحت أمانهم وورقهم  
المصريون والشاميون شر شوق وسروا ميكلهم القدس لو يس  
الفرسانوى مع ثلاثين نفاً من رحله ، وهكذا تحت الشم ومصر من  
الخطر المهنك واسداحت من الصليبيين دهر طويلاً ولم يقو الصيديون  
بعد هذه المرة على مهاجمة البلاد إلى أن ضعف الأيوبيين ، اناهم إلا بعض  
مناوشات قليلة ، فله ضعف الأيوحيون وأحدوا يتقربون على السططان  
ال ويستعين بعضهم بالصليبيين على بعضهم تضعع أمر البلاد وعاد  
الصليبيون من حديد إلى ثورة القلاقل . وفي عهد الملك الصالح صاحب  
مصر أخذ طين لدوة الأيوبية ينقص من الشام ولما هلك الصالح  
سنة ٦٥٧ هـ ، وكان أول من استكثر من المماليك وجاء بعده اسمه

تور شاه فلم تطل مدته أكثر من شهرين ، لا قتلا ، سيطرت على  
 البلاد قوة جديدة هي قوة المماليك المصرية ، وكان يومئذ التركاني  
 وكان دا بطش ودهاء فوس البلاد ميسرة مائة وكان سجن المد  
 فاتفق الأمراء ومماليك من حوله ومد أكثر من إغصاء الأمراء  
 ليقبله الناس أميراً مع كونه مموكاً رقيقاً .

قال ابن تغري بردي : وكان ملكاً شجاعاً كريماً عاقلاً ميسراً  
 كثير العدل للأموال ، خلق في مدة سلطنته من الأمراء وخيول  
 وغير ذلك ما لا يحصى كثرة حتى رضى الناس بسلطان منه الرق .  
 وأما أهل مصر فلم يرضوا به إلى أن مات ، سمعوه ما كرهه حتى  
 في وجهه . ولما قتل وقعت اضطرابات في البلاد الشامية والمصرية  
 وخصوصاً والشام لم يستقر بعد المماليك في ثغرى الأيوبيين كما ما يروى  
 فيه فشن الشام إلى العراق كان فيه انه صرح صلاح الدين يوسف ، وحجة  
 كانت أمهات اسعدور محمد ، والكرك والشوبك كانت للمماليك ، وبلاد  
 صهيون كانت لمطهر عثمان مسكورس ، وتدمر والرحمة كانت تحت  
 يد الأشرف موسى بن إبراهيم وفي هذه الفترة مضطربة ظهر القنار  
 سنة ٦٥٦ هـ قدموا بغداد وانجسوا نحو الديار الشامية سنة ٦٥٧ هـ وقتلوا  
 بأهالي حلب ثم بأهالي دمشق وساروا حمله حتى غرة شهر ربيع الأول  
 أممهم ودخلت إلى مصر وجمعت جموع قومه منهم قاست القنار في

عين جالوت ورموه ودم قومه وفر الجيش لمصرى الشىء فوراً مبيتاً ،  
 وكان ذلك النصر على يد ملك قطر ولما ولي السلطنة بيبرس السدق دارى  
 بعد قصر كانت البلاد توحه خطر من : ولما التقى فن هولاكو  
 عقب لمرية حيوته فى عين جالوت ، وانهى الصليبيون ، فاستطاع  
 بيبرس المصطفى على السرايا وأحبط مساعى الصليبيين وأخذ حصونهم  
 وقلاعهم فى الساحل الشامى مثل صور وصور وعكا وصيدا ولم يمت  
 الطاهر بيبرس سنة ٦٧٦ هـ حتى قضى على الصليبيين قسراً مبرماً وبعد  
 رمشق من أسبانيا وكنعان عداً لا شهراً سيوساً سيطر على البلاد  
 اسمية ومصرية خير سيطرة وسمي أفضل سياسة . قال شمس الدين  
 سرى . عاد للبلاد هذه السلطنة بيبرس وصارت لسلطنة الإسلامية  
 ذاتها ، وخيمة فى عهده وفى سنة ٦٨٣ هـ عاد المماليك والصليبيون  
 يريدون الشىء من جديد فدمروهم ، فدمروهم وسارت إليهم حيوش  
 مصر ودمرهم جميعاً ، فحفظهم إلى طرابلس فدمرتها على رؤوسهم .

بعد مات قانوق سنة ٦٨٩ هـ وتولى به الأشرف خليل رضى  
 الصليبيين عد استمدحهم فرمى فى بلاد الشامية ، فهض من مصر وفتح  
 عكا وكانت حصن صليبيين مبع مدد المماليك ودك دكا . ولما رأى  
 الصليبيون ذلك رعدوا فاجنو صيد فدمروهم ملك الأشرف وهدمهم ثم  
 استوفى على يروت وصور وعنتيت وطرطوس وحبيل والمقروت

والأسكندرونة. وطرده نقي الصيدين من الساحل الشامي، وكانت هذه  
الحملة هي الحملة الأخيرة التي ظهرت الملاد من الصيدين. وقد ريت أن  
الحملة السابقة كانت ظهرت الداخل. هذه ظهرت الساحل واستراحت  
الملاد الشامية حيوياً منهم واستطاع الملك لاحقين ملك مصر والشام  
أن تتحد من الجيش الشامية. وأمره أداة متوحات جديدة بعد أن  
كانت قبلئذ معدة للدفاع فقط.

وفي سنة ٦٩٧ هـ جدد سلطان جيوشه فتح بلاد الأرمن في  
سبعين لأنهم كانوا لا يتركوا الملاد تستريح فأحضر ملكهم ثم  
رحمت الجيوش الطاهرة والملاد في أمن وطمش. وأكملها لم يثبت  
طه يلا حتى فوجئت برحف جديد لسلار سنة ٦٩٩ هـ وعلى رأسهم  
عاران بن أرغون خان بن هولاكو قد حل حب وحمة ووفيت  
بأهلهم. ودا بعت هذه لأحمد مسمع السلطان المصري قلاوون  
رحف من مصر فالتقى الجيش قرب حمص وكسر الجيش المصري  
واسهرم السلطان وأقيت دمشق وسائر بلاد الشامية. هو الأحمدي  
واسكن ما لبث السلاطين من أولاد قلاوون أن أعادوا إلى الملاد  
الهدوء والهدوء، وما إن هلك آخر سلالة من البيت القلاووني وهو  
الأشرف شعبان سنة ٧٧٨ هـ حتى اضطرت الملاد وأخذت الشام  
يستقلون عن مصر فأشرفت الملاد على عهد جديد هو عهد البيت

الأثر من وود رنى لأنك رقق ضعف حال السطان وفساد الملاد  
 وبحركة العرب وفساد العدو والأعراب وأحسن بلروم بحديد شرب  
 منك مسدده إلى سيد كبير مجمع القصة والخليفة بطلب إليهم أن  
 يستظموه ويحكموه منك الصالح فوقوا على ذلك وكان هذا في سنة ٥٧٨٤ هـ  
 فهدم الملاد من الأمان ثم عدت إليها الاضطرابات كما كانت ثم  
 انكسرت لبحرين . قال لأسد كرد علي : وكانت هذه لدولة عمدا  
 في ضعف الإدارة وقيام الحروب لأن منك على لاكثر كان ضعيفا  
 به من عيشه كل من عفا عنه وسكن من مؤيد وفرد أن يسلط  
 على عقول اسلح من العرب وأرباب المدبرة والطمع من الناس ...  
 ونهضة لاشه بها بعد أن يتفقد مفعول على المالك أوقاف القواد  
 ربات محبين وتمررد وصرح أحد المرعفين على السلطنة أو الأمير  
 الذي وسد به أحدث در العصى . لأن ترين سواقه سمعة يوم  
 أو ليلة يوم على الأقل . فعل ذلك لأقل حادث يحدث ... وكانت  
 دمشق في يوم شهر كسة ثم في يوم لاترك خلافهم ترين سمعة نام  
 لأن صديق فيمخرج السلطان وتدفق الشاثر . فعدمت الفوضى في  
 عهد المانك لأنك وفساد الاضطراب وانتشر الخوف في الملاد  
 وخصوصا حين هاجمهم نيمورست سنة ٨٠٢ هـ فهدم دمشق وحلب  
 وفعل في أهلهم لأعاجيب حتى صار من الدين الهائي يرثي الملاد



النامية ويصف ما حل بها من حراء فعالمهم :

لهفى على تلك البروج وحسنها

حَفَّتْ مِنْ طَوَارِقُ الْخُدَّانِ

لهفى على وادى دمشق ولطفه

وتبدل الفزلات باثيرون

وشكا الحريق قَوَادِمَا رَأَتْ

نور المنازل أمدت بدحر

\*\*\*

حَتَامُ فِي مَاءٍ مِمَّا أُصْرِمَتْ

فمحت للجدت في الشيران

كَلَّتْ مَعَصِيرُ بَهْرَمِ فَصِيَّةَ

وَالْآنَ صَرَنَ كَذَائِبُ الْعَقِيَانِ

مَا دَاكَ إِلَّا نَزَكُهُمْ وَلَحَتْ بِهَا

فَنَحَصَتْ مِمَّا دُحِرَ هِيَ

\*\*\*

لَوْ عَيْتَ عَيْدُكَ حَامِعَ « حَكْر »

وَالرَّكْنَيْنِ بِحَسْبِ الْعَمَّانِ

وتعش « لرحين » من بردها  
وتهدم اعلى راب والايوان  
لأت حقونك بالدموع ملون  
دمعاً حكي للولو على لمرجان

\*\*\*

هي أمية من بين ويديك  
وتعش متن في دري الأركان<sup>(١)</sup>  
شروا الخور بسجته<sup>(٢)</sup> حتى انشوا  
القوا عرابدم على السسوان  
لم يرجعوا طفلاً مكي ففوقهم  
في امتك صحر لا أبو سميان

\*\*\*

هي على سك الم لوه ودرسه  
صرت معسها تعبير بين  
عروسك لك أسوة « لحيات »  
في ذا لمصاب فأت أحسن

(١) أهل ثم يعوب ، ومن هذه شبي برده العره وخرج

(٢) لخصه يرجع إلى جمع ي أمية

عابت بدور الحسن عن هالاتها  
 فاستبدلت من عزها بهوان  
 ناحت « نواعير » الرياض لفقدتها  
 فكانها الأفلاك في الدوران  
 وهـ - بعض دناء حلب الشهية برثها ويصف ما حل بها :  
 يا عين جودي بدمع منك مسكب  
 طول الزمان على ما حل في حب  
 من العدو الذي قد أمّ ساحتها  
 ناح الغراب على ذاك الحى الحرب  
 ويلاه ويلاه يا شهيا عليك وقد  
 كسبني ثوب عري غير منسل  
 من بعد ذاك العلا والعز قد حكمت  
 بالدل فيك يد الأعير والنوب  
 وضح الثغل حكاما عليك ولم  
 يرعوا لجارك دى القرى ولا الجب  
 وفرقوا أهلك السادات وانتشروا  
 في كل قطر من الأقطار بالحبوب

وحرروا رسلك لمعمور حين عدوا  
 يسعون في كل نحو منك بالنكب  
 وحرروا من بيوت الله معطها  
 وحرروا من أشرف الكتب  
 كن معصيتك الكبرى التي عظمت  
 سبى الحريم ذوات السر والحجب  
 يأتي إليها عدو الدين بفضحها  
 ويحتملها على لاه ومرتقب

ولما رحل نيمور ، بعد أن حرب الملاد ، عاد إليها يعقود الممالك  
 وسلطه به الأخرق ووقعت فتن كثيرة في الملاد فإن السلطان المذ  
 العاصر كان سحبه ، حرق سكيراً سحكاً ، فعمل الأوغيل حتى قتله  
 أنجده ثم حملوا الخبيثة سلطاناً هذات الملاد قليلاً ثم عادت إلى  
 الفوضى واستمرت على ذلك حتى داهمتها طلائع الحش العثماني :  
 في أوائل القرن العاشر كان على الممات العثماني سلطان قوى هو  
 السلطان سليم وقد منطاع بقوه ودهائه القصب ، على نفود الدولة  
 الصفوية العجمية وكانت نفسه تطمح إلى السيطرة على الدولة المصرية —  
 الثمينة ، كان قوة وحده من قبله رجوان ذلك ولها حروب ومناوشات  
 كثيرة مع بعض رجال دولة الممات في بلاد الشام . وفي سنة ٩٢٢ هـ

رسل السلطان العثماني جيشاً كبيراً يريد به السيطرة على البلاد  
 لثمان مئة فمبع الخبر السلطان فأصوبه العوري ملك مصر والثاء فرسل  
 إلى السبط العثماني يعرض عليه الصبح في يقبل واشتدك الجيش  
 وقتل قاصوه العوري ودخل السلطان العثماني حلب ثم دمشق ، وقد  
 تألم الناس لا تقضاء عهد الميثاق على ما كان فيه من اضطراب حتى فر  
 بعض شعراء الشام :

ليت شعري من على الثاء دعا      نداه حاصر قد شمعاً  
 فكساه ظلمة مع وحشة      وهي سكية ومكبة مع  
 قد دعا من مئة الضر من ال      ظلم والجور اللذين اجتماعاً  
 فأصاب الشياء ما حبالها      سمة لله التي قد ندعا

ثم سر السلطان العثماني بعد فتح الثاء إلى مصر وقيل ذلك  
 طوما مادي الذي ولاد مصر يوم بعد قاصوه العوري وبسط بعده  
 على مصر ثم رحل إلى عاصمة ملكه وأحدث البلاد فمسي الويلات  
 من أجند العثماني الذي كان يهب البيوت ويغطف الأسجار ، وما كانت  
 حال في الثاء فاحس منها في مصر فقد أصبح البلدان تحت رحمة  
 شوات الترك وحدهم وكيف يكون الحمد والشوات صاخين  
 وسلطانهم كما يفهم المؤرخ المصري ابن ياس : « لا نصف مظلوماً  
 من ظالم بل كان مشعوراً بالده وسكره وإدمته في المقياس بين الضحايا

لمرد ويحكم لورانه عما يحترقونه ، وكان ابن عثمان لا يظهر  
إلا عند سعة دماء الشراكسة وما كان له ثمن إذا أعطاه لأحد من  
الأمم وليس له قول ولا فعل وكلامه قص ومقوض لا يثبت على  
قول واحد كقول الملوك وعاداتهم في أفعالهم . هذا وقد ساق السلطان  
ابن عثمان من مصر والشام حملا واحدا من الذهب والفضة والكتف  
ولتخف ، نريش والآلات ووضع الصرائف والمكوس وهناك الناس  
في فرسخ عبيد من الصرائف . ولما هلك سليم وجاء ابنه سليمان هان  
في مصر والشام كان مشغولا عن تنظيم الملاد المفتوحة الحصنة  
له ، فمضت الجديدة التي كان يطمع فيها وقد خرج هو نفسه إلى  
سرو واما سح أكثر من اثني عشرة مرة وكان يظهر في كل موقعة  
فوسع رقعة المملكة العثمانية ، ولم يكن للملاد المصرية والشامية في عهد  
سليمان إلا أن تظهر فراحها بالفتوحات ونعماني الأمرين من الحسد  
الأكشيرية والسدهية والدلاية ، ثم خلفه ابنه سليم الكبير وكان شر  
الأسس لحلاوة وسيرة ، ثم جاء بعده مراد الثالث وقد لقيت الملاد  
المصرية والشامية في عهده كل عنت وإرهاق ولما انتهى القرن العاشر  
ودخل القرن الحادي عشر قتل الناس تغير النظام القديم المضطرب  
الذي كان في شئ ، فيه عدم استقرار الولاء واضطراب إدارتهم من  
الذي كان لا يقيم في البلدة إلا ريثما يخرب وسبب ويضرب الصرائف .



وقد بلغ عدد ولاه دمشق في ذلك القرن واحداً وثلاثين واليه وعدد  
ولاة حلب أكثر من ٥٠ واليه واندین تولوا مصر أكثر من ثلاثين .  
وقد كانت الملاد تقاسى الولايات والشدائد منهم . وكان الولي الصالح  
منهم لا يستقر ليمتد على الإصلاح . وفظائع الولاة العثمانيين في مصر  
والشام أكثر من أن يحصى ومن شر الولاة العثمانيين في مصر محمد دات  
المقتول وكان فيها سنة ١٢٧٣ هـ . قد طم بعض دمه مصر بدمه ووفاته فقال :

موت محمد حيلة فيه للعالم رحمة  
قتله نادر روز وهو في التاريخ حنة  
٩٧٥

وفار آخر :

أتى محمود شاه يوم محس فساقة منيته قصيبه  
تجه المصرية حلف حنظل فميتل جاءه منه مصيبه  
بيندوة رماه كف رام حررت شحاته مصبه  
وقد كثر في العصر العثماني الجوع والمحن في الملاد حمة ،  
وخصوصاً في عهد أويس باشا الذي رماه بمصه قوه :

أهلك الله أويساً إنه حار في الحكة ولم يحش الوعيد  
مد أتى مصر تحمر وأعتدى وبه اسلب مدى في مرید  
أهلك الحرب وكمن فتية فما ناجهن فيما لا يعيد

مد دمه الموت ما فته لا ولا كان له عنه محيد  
 حاب سعيًا بودة زحوا ها وخاب كل جبار عنيد

٩٩٩

ولم يكن الشاهد بعد حيا ولا له من مصر فقد ولعه طائفة من الولاة  
 امة الطامة، ولم يكن قدوة الشرع فيه افضل من الولاة في سنة ٨٩٣٤هـ.  
 قبل ان ياتي حيا ويراوصي على من احمد الذي جاء لتفتيش اودف حسب  
 واملأكم والمصر على الاموال المستوية ورفع ثمن القمح وبيع وحمله  
 على من المصل. ولم صبق على امر سهر وافرصة دحوه على المسجد  
 اجمع ناصلاه يوم الجمعة وتجمعوا عليه، فقلوه صرعا بالمال ورجع  
 بحجرة. ولم يكن الولاة امة من في امريين الخدي عشر والثاني  
 عشر احسن حالا من الولاة في القرن السابق، فقد كانت القوضى  
 منتشرة في البلاد، وانهم من امراء البلاد هذه القوضى وذلك  
 السيف فاعبوا سعيهم بالادهم، ومن هؤلاء من لم يترك في  
 مصر وصاحبه من متعدين في الشاهد وقد عظم امر هؤلاء حتى صار الوالي  
 تحت رحمة هؤلاء، فمضى مدبه الصغيرة وهو كاشحين في القصة ولا هم  
 به سوى ان يحدد حاكميه ويجمع الامور من كل طرف يستطيعها،  
 ومن عظم الامر، ليس يجمعوا في هذا اعصر تصر على ملك الكبير سي  
 كان يرى ان دحوه لعمه يبين في مصر ولت دحوه، وانه لا بد

أن يفقد الملاد منهم وتفق مع الشيخ صاهر العمر أمير عكا على العصيان  
والثورة فوجهت الدولة العثمانية إليهم جيشاً عظيماً استطاع أن يتغلب  
عليه، ولما ظهر على ذلك الكبير بالحشاش اعتمد في طمع في التوسيع ففتح  
اليمن وحده ومكة وأكثر الجزيرة العربية، ثم في سنة ١١٨٥ هـ أرسل  
فائده محمد بك أبا الذهب على رأس حملة إلى بلاد الشام فاستولى على  
غزة ونابلس والقدس وبقا ثم حاصر دمشق وتركهم دون أن يدخلها  
لأن الأتراك استطاعوا أن يستميلوا أبا الذهب فترك الدار الشامية  
وترك حليفه الشيخ صاهر العمر يقوده وحده فكتب الشيخ صاهر إلى  
علي بك بحيره بحبسته بعد أن كاد يملك القصر الشامي، ثم ما لبث أن  
مات علي بك وسيطر أبو الذهب على مصر وعادت سلطة العثمانيين  
على مصر من جديد، وصلت مصر تسمى الولايات في الإدارة والمواسي  
حتى جاءه المرسيون وعلى رأسهم ناسيون وبارت سنة ١٢١٢ هـ  
ولما فتحت مصر رعى ناسيون في البلاد حراً لا تتحرر من مصر وإن  
ملك مصر لأندله من السيطرة على الشام وعبره على ذلك .

قال الأستاذ كرد علي : ولما شعر ناسيون بالاحتياج للجيش محاربه  
وأنه إن لم يمدح الدولة العلية في بلاد الشام فسن تتم استعداداتها  
الحربية تكون عواقب الأمور وخيمة عنه وأن من يحتل مصر لا يكون  
أماناً عليها إلا إذا احتل القصر السورى ، فهذه الدواعي عزم ناسيون

على فتح بلاد الشام ، وهم من مصر ومعه ثلاثة عشر ألف مقاتل  
قاصداً الشام من طريق العريش - فاحتل حيف ويافا ولما علم  
أحمد باشا الخراب لمير عكا بذلك حصن مدينته وجمع جموعه ، فذهب  
إلى نابليون ، وكانت كسرة نابليون المضطعة فرجع إلى مصر ،  
ولما بقي فيه طويلاً حتى اضطرت الأحوال في فرنسا إلى العودة فترك  
الشرق وهو مؤمن بإخفاقه في محاولته .

ولما عاد نابليون لبلاد استاء رعيته كثير من معادرتهم فكتب إلى  
الحكومة المركزية الفرنسية تقريراً وصف فيه سوء حال الفرنسيين في  
الشرق وطلب منهم فتحه على المفوضية مع النمانيين للحللاء عن مصر ،  
ثم وضع الفرنسيين على الاستيلاء ولم كاد الاستيلاء يتم وقعت  
الثورة في مصر وقتل كثير في سنة ١٨٠٠ م . وخرج الفرنسيون من  
مصر بعد أن بقوا فيها ثلاث سنوات وثلاثة أشهر ، ولم يكن لهذه  
الحملة الفرنسية ثم يذكر في بلاد الشام أم في بلاد مصر فقد أثرت  
آثاراً قيمة ، وكان هذا نتاج طيبة من الناحية العلمية والأدبية  
والاقتصادية كما سبى ، وبعد هذا العهد أخذت مصر تتطور تطوراً  
عميقاً قديماً ومريخاً . فقد تمت أدهن أسسها بعد أن كانوا في سنوات  
عميق تغزل عن العلم بتمدن ، حدهم كحل نفيسة الولايات العثمانية في  
التحرر السياسي والاحتجاجي والعلمي ، وقد كان للفرنسيين الذين صحبوا

الحجة الفرنسية مثل (مونغ) الرياضي و (له به ر) المهندس و (كوتيه)  
العبقري المخترع أعظم أثر في بنيه دها انجيل مصرى الحديد .

وبعد أن رحل الفرنسيون عن مصر عادت إليها الاضطرابات  
والعوضى السياسية والادارية ولكنهم مع ذلك أخذت تختار عن البلاد  
الشامية ما رآته من النشاط العمى والاحتياج الفرنسى أثناء تلك الفترة  
القصيرة التي أقامها الفرنسيون في مصر . ولكن لم يهض البلاد -هضتها  
الكبرى إلا في عهد محمد على باشا مؤسس الملك لمصرى الكريم  
سنة ١٢٢٠ هـ فنفذ هذا الترتيب أحد الأمن والنظم ينشرون في مصر .  
ولما استتب الأمر لمحمد على في مصر رأى ما كان يراه غيره من الأمراء  
المسيطرين على مصر أنه لا بد له من السيطرة على الدبر الشامية فامر  
في سنة ١٢٤٧ هـ بإعداد جيش عظيم فتح الشام . ويذكر ما يقوله  
المستشرق الفرنسى الطيب كلوت بك عن هذه القضية . « إن ضم  
سورية إلى مصر كان ضرورياً لصيانة ممتلكات المباشرة ، فقد تقرر  
في الأدهان أن إنشاء دولة مستقلة على صفاق النيل بعيد اندية فائدة  
عامة وحب الاعتراف أنه لا يمكن ادراك هذه العية إلا بضم سورية  
إلى مصر وقد رأينا فعلاً أن موقع البلاد الحربى لا يجعلها في منمن من  
الغزوات الخارجية خصوصاً عن صريق زرع السويس فإذا استتبنا  
غزوة العاطميين المعروفة وغزوة الفرنسيين بقيادة نابليون بونابرت

العروان جاءت عن طريق سورية كعروة الفرس في عهد قميز وغروة  
الاسكندر والفتح لاسلامي وعروتي الأيوبيين ولأتراك، وعلى ذلك  
لا يمكن الاضطلاع على هذه مصر مستقلة لا ناعطىها الحدود السورية  
لأن حدها ليست في السويس بل في طوروس» .

هكذا نقول كلوث بك ولا شك في أنه ما قال هذا القول إلا بعد  
قطع الدث به . وقد قسم الدث حبشه إلى قسمين قسم يذهب إلى  
الشام وآخر وقسم يذهب إليها بحرا . وقد جعل على رأس هذا الجيش  
وسمه برهم شاه ودار لحيش وفتح فلسطين من قصاه إلى أقصاه  
بعد حذر قيس لمدة عكاثم سارت لحيش نحو الشمال وفتح  
دمشق حلب وعمت لأفراح في بلاد الشام فامتج المصري حتى قل  
شعر الشام في وقته الشيخ أمين الحدى في ذلك من قصيدة يمدح  
برهم شاه ويسرد بعض أحوال لموظفين الأتراك وقطاع الجند  
الغربي وما كانوا يعملون به الدس من سوء الخلق :

وور سادخوا امكربت فلا تسأل	عنه توفيق منهمو ونحتسلا
فقصنهم منحت قد كوا قهلا	أبصرت حيا عن مضرهم خلا
بمنه الشريفه من وراء ظهورهم	وضعوا ورادو في الصلال توغلا
ومشبح الاسلام أصبح عهدهم	جهلا فلم تر قط منهم أحسلا



هل يغلب الأسد الحرب ثعلب  
 وإلى حماة الشام سار وبهدها  
 حتى إذا اقتحم « المضيّق » ببأسه  
 تركوا الدحائر وأخيه وكله  
 من يختر الأثر كَن حيوشهم  
 والعزّ بالقرّب أستغار مناره  
 يا حمدا جرّومة القتل الذي  
 طاب فروعاً حسم قد أصلا  
 فأت ترى فرح هذا الشاعر السوري  
 زوال شمس الأثر كَن واشراق  
 شمس العرب على يد إبراهيم .  
 ولا شك في أن الإصلاح الذي قام به  
 محمد علي باشا في مصر قد بلغت حصره  
 مسمع الشمامسة في حدودا يتممون  
 بلادهم مثل ما بقيت مصر .  
 ولما رأى الناس اجش لمصرى في بلادهم  
 فرحوا واستبشروا .

فإن الأستاذ كرد علي في أثناء فصل عقده للحديث عن أعمال  
 إبراهيم باشا في سورية : « إنه قد رتب المجلس العسكرية والمالية  
 وأدم مجلس الشورى وغيره من المظن الحديثة . ورتب مالية وحمل  
 بصماً لحماية الخراج ومعاملة الرعايا بامساواة والعدل لا بدوت في طفتهم  
 ومداهمهم . ولديك لم يبدت الأمراء والشيخ وأرباب القعود أن استنقلوا  
 طال الدولة المصرية وتمموا رجوع الغائبين ليعيشوا معهم كالخدمة الطاعية

تمتص دماء الصعداء ويسلمهم من ذلك مصة الوسل مع أن الملاد رت  
 في دم إرهيم نسا إطن المعدادات وتقدير حق التملك وتوطد الأمن  
 في ربوعها ، وأحييت الزراعة والتجارة والصناعة ، وعممت تربية دود  
 الحرير ودود القبر ، واستخرجت بعض المعادن . . . وأكد الكثيرون  
 أنه بعمله هذا استعادت أكثر قرى حوران وعجلون وحماة وحمص وغيرها  
 من أعمال الشام عراش القديم ، وحرب بعض القلاع التي كان يمتصم  
 فيها الثغورون أحياء مثل فلاح حمل الأسكام وقلعة القدموس ، وقرت  
 العلماء والشعراء .

وبلا حظاً قام به إرهيم نسا في الملاد لطلت دولته قائمة في الشام  
 وذلك أنه بعد قانون ( الجهادية ) الذي ساه أبوه في مصر وكان عليه أن  
 يؤخره إلى حين لأن رجال الملاد وشبهها قد تعودوا الكسل والجمول ،  
 وكان ينبغي أن يترث بعض التريث .

قال الأستاذ كامل العري : وفي سنة ١٢٥٤ هـ وقع القبض والتمتيش  
 على أولاد المسلمين أيدخلوا في المظالم العسكرية ومن لم يوجد منهم  
 قصص على أبيه أو أمه أو زوجته وعدوا إلى أن يحصر الرجل المطلوب  
 ومن هرب منهم وأحضر عن السمر يحمل هدوءاً للرصاص . وقد رأى  
 أرباب العثمانيين ونصرهم في بلاد الشام أن الشاميين قد انقلبوا على  
 الدولة المصرية فأخذوا يمعنون في المار حتى قامت الثورة في الشمال

والجنوب واستعمل الترك هذه الثورات فظهر سلطانهم محمود سنة ١٢٥٥ هـ جيشاً يقارب السبعين ألفاً وعلى رأسه حوطة بك فالتقى الجيش في حنين وهرم الجيش العثماني وعم المصريين معهما كثيرة . وفي هذه الفترة مات السلطان محمود وحلعه ابنه عبد الحميد وكان على حداثة سنه دكاً مقادراً فاتفق مع دول أوروبا ضد الدولة المصرية ولم يرى محمد على نكاتف دول أوروبا عليه عزم على محاربتهم جميعاً ووقعت حروب بين الأسطول الإنكليزي في بيروت وصيدا وعكا ثم صطر الجيش المصري أن يسحب فانسحب من الدار السورية ومن العراق والمروعة والوطبية يسكنون على فراق هذه الدولة الحكيمة على قصر أيامها .

فلما استبدد كرد علي : وكانت حكومة محمد علي من فصل ما رتب الشام من الحكومات مدة ثلاثة أو أربعة قرون بل إن الشام في القرون الوسطى والحديثة لم يسعد ما يقرب منها فصلاً عما يمتثلها .

وكتب المستر رات قصص بريطانيا في دمشق إلى صغير دوتته في الأستانة سنة ١٨٥٨ هـ ما تعريته : « ولما كانت الإيالة تحت حكم محمد علي ناشت عاد كثير إلى سكنى المدن والقرى المهجورة الواقعة حوالى حصص وفي كل الجهات الواقعة على حدود الدية وفي هذه الأماكن أكره العرب على احترام سلطة الحكومة وحمل السكان تأمين من اعتداءاتهم . . . ولم يكبد المصريون يطردون من البلاد ويتخلص ظل

سوطتهم وقد كانوا أحصوا الجميع لحكمهم الشديد حتى عاد القوم إلى  
سد الطاعة وخفت الرشوة والتدبير في إدارة مالية الزاخرة والاقتصاد  
ومبيت لداخيل بالفص « .

\*\*\*

هذه هي الصفحات التي تصور لنا تاريخ هدير القطرين الشقيقين  
خلال العصور منذ فجر التاريخ إلى أوائل العصر الحديث .  
وهي صفحات نسم فيها كل بلد أحده في آلامه وأمانه ومعاشه واليوم  
تهمو فلوب كل من سكن المدين إلى شقيقه ، والله أسأل أن يحقق هذه  
الأماني ويجمع الشمل .  
وقد يجمع الله الشقيتين بعد ما يطس كل الطن أن لا تلاقيا

## العلاقات العلمية والأدبية بين القطرين

رأيت في الفصل السابق قوة العلاقات السياسية بين البلدين على مرور الأقطاب ولدهور وصيحي أن تكون العلاقات العلمية والأدبية أقوى فإن السياسة قد تقطع عراها بين بلدين ولكن من العسير جداً أن نقسم عرا العلم بين بلدين فصنع العلاقات السياسية بينهما، وهذا جعلت لسياسة في التعريق بين بلدين فإنه لا يستطيع أن تقع عدهما وتدابرها من التزاور، المسحت والمنقشة... لحق أن العلاقات العلمية بين الشام ومصر عريقة جداً في القدم وكذا أقول بين موحدة بينهما منذ أن وجد العلم والأدب وأمن في هذين القطرين وأعمال أقدم العلاقات العلمية القوية بينهما ترجع إلى زمن الفسقيين وقد ذهب شامبليون إلى أن الكتابة الفينيقية هي أجدد الكتابة الهيروغليفية وأثبت دي روجيه أن خمسة عشر حرفاً من الألفبائية والعشرين حرفاً، وهي الألفبائية الفينيقية، تشبه تمام التشبه مع مثيلاتها في الخط الهيروغليفي وأن السمة الدقيقة لا يعتمد الشبه نسب وبين مثيلاتها الهيروغليفية. وكذلك كل الأمر بين اللغتين فإن التشابه بينهما كبير

قال كوستاف امون في كتابه عن الحصار المصرية . إن حث سورية  
وبلاد العرب وشن في إفريقية بمقسم كأهلب إلى فرعين الفرع السامي  
والفرع السوري العربي والفرع الحامي أو الفرع المصري المتعمر ،  
و بين هذه اللغات حمية قرابة كالتي بين متكلمين بها واشتقاقها ولهجاتها  
الخشيفة ترجع إلى أصل واحد أولي صاع اليوم ولكن هذه اللغات لم  
تتعد عنه كل العدد .

و ثبت في الفصل الذي عتدناه لعلاقات لسياسية في من المراجعة  
كثرة العلاقات واتحدت بين البلدين ، ولا شك في أن هذه العلاقات  
السياسية كان لها أثرها في العلاقات الاجتماعية والمالية والأدبية .



وفي العصر اليوناني كانت العلاقات بين القطرين قوية أيضاً بين  
اليونان وأحبوا هذين القطرين شروا فيهما كثيراً منهم وآدابهم  
وعلمهم وعقائدهم وصورت مدرسة الإسكندرية كمة الطلاب  
السوريين يفتقدونها من نحاء بلادهم كما كان كثير من العلماء  
السريانيين يفتقدون البلاد المصرية وبخاصة الإسكندرية ايتعلموا  
وعملوا ولما عرا العرس سورية هاجر قسم كبير من العلماء السريانيين  
إلى البلاد المصرية وشروا فيهم لغتهم حتى صارت لغة العلم والطب . وقد  
كان تراور العلماء بين القطرين كثيراً جداً ومن أشهر من أرمصر من



السوريين وكان لهم فيها أثر كبير (حفا مسكوس) وقد كان راعياً  
ألمعياً يجيد اللسان اليوناني وقد رحل إلى مصر من الشام وأقام فيها  
طويلاً هو ورفيقه (صفرونيوس) لندم شقي وكان ذلك في نهاية القرن  
السادس للميلاد وقد طاف أكثر بلدان مصر وديرتها ووصفه في  
مؤلفاتها ما رأياه من آثار الملائكة العجيبة وقد اتصل بالطرقي  
(حفا المرحوم) بطرقي الإسكندرية وعظيمها فكان ميدهم عنهما  
ولما اضطروا إلى الهرب من الإسكندرية وقت الفيلسوف عيسى بن هرم معه  
ورحلا إلى رومة وهناك أعدد (حفا مسكوس) النظر في كتابه  
«منازل الروح» الذي ما تزال قصة حسنة منه مقيمة إلى أيامنا هذه.  
وهو من الكتب النظمية الخمسة بين لأدب ودين والأخبار  
والمعجرات والأمثال والأحلام والتاريخ. وصفرونيوس أيضاً أكثر  
صححة في الأدب ودين لا تغفل عن كتب منده وصديقه  
(حفا مسكوس). وصفرونيوس هذا هو الذي شر كتب منده وحقته.  
وقد استمرت مدرسة الإسكندرية مريحة لطلاب السوريين من  
المسيحيين حتى بعد الفتح الإسلامي ففي عام ٦٨٠م قدم إليها يعقوب  
الرهودي يمكن دراسته عن آداب اللغة اليونانية واللغة العربية. وفي  
أيام أبي أمية كانت مدرسة الإسكندرية معهد الوحيد الذي كان  
يفتدى الملاد السورية بالطب والفلسفة والحكمة والصناعة والعلوم المسيحية

فهذه اصطوف لإسكندري يترجم بعض كتب الفلسفة والصنعة لحالد  
ابن يزيد بن معاوية عام بني أمية وفي سنة ١٠٠ هـ. وهذا الطبيب ابن أنجر  
الإسكندري يعتمد عليه عمر بن عبد العزيز في ترجمة بعض كتب  
الطب والحكمة.

ما معاهد البصر الشامية التي كان يقصدها المصريون قبل الإسلام  
فهي مدرسة بيروت الرومانية ومدرسة أنطاكية. أما مدرسة بيروت  
فقد تأسست تحت أنطاكية روم من تعليم الفقه والأدب وحمل لغة التعليم  
فيها لغة الأرمينية وقد كان الطلاب يفتقدون من أنحاء البلاد جميعها  
حتى من القسطنطينية نفسها. من سنة ١٠٠ هـ وقد حتربت مدرسة بيروت  
قبل الإسلام. لأنهم تم بحرق بيروت سنة ٥٦٠ م. وأما مدرسة  
أنطاكية فقد كانت من آثار حلفاء الإسكندر الكبير. وكانت دار  
علم وحكمة. ومن تخرج بها من الأعلام القديس يوحنا فم الذهب  
والقديس إبق. وقد كان هذين القديسين قدس كبير في نشر المسيحية  
وأدائها في الشام ومصر.

وإن جاء لإسلام. وحدث بين لأفصار شرقية قويت المصالحات العلمية  
بين جميعاً وبخاصة مصر والشام. من الصحابة الذين نقلوا الدين  
وحديث والأدب الحثي من الحجاز كانوا ينقلون به بين الشام  
ومصر. ومن أشهر معلمين الصحابة الذين تخرج منهم المصريون

والشاميون عند الله من عمرو بن العاص وقد كان على حب عظيم من  
 معرفة الحديث النبوي كما كان من أوائل من دواوا الحديث وكان له  
 اطلاع حسن على علوم الأوائل وديانتهم فقد قرأ التوراة وتعرف السريانية  
 وكان يحج ويعتمر ويأتي الشام ثم يرجع إلى مصر ، وقد روى عنه العلم  
 والحديث كثير من الصحابة والتابعين في مدينة ودمشق والفسطاط ،  
 وعند الله هذا هو مؤسس لمدرسة نصرية في الدين ، ومن كثر رحال  
 مصر الدين رحلوا إلى الشام وتعلموا فيه وعموا أهل الإمامة البيت بن  
 سعد ( سنة ١٧٥ هـ ) وقد رار مكة والمدس وبلاد وقي حجة من  
 التابعين فروى عنهم الحديث وكان على اتصال دائم بالإمام مالك بن  
 أنس يكاتبه في مسائل التشريع وفقه وناقشه فيهم ، له في الديار  
 المصرية أثر وكان الشافعي يقول : « لست أفتي من مالك إلا أن  
 أحبه لم قومناه » ومن كثر رحل الشام الذين رحلوا إلى مصر  
 وتعلموا فيها وعلموا الإمام محمد بن زكريا الشافعي العمري ( سنة ٢٠٤ )  
 وكان رحل إلى بغداد وشرب فيها مذهبهم ثم رجع إلى الشام ثمصر وفيها  
 استقر وحدد مذهبهم وشرب في مصر بين بعد أن كانوا قبله مكيين .  
 وقد كان لذهاب الشافعي إلى مصر تأثير كبير في الحركة العقيدة  
 والدينية ، فقد كان الناس قبله يركبون إلى مذهب مالك كما يفقد لهم  
 تلاميذه في الحجاز ، وهو كما علم مذهب يعتمد على الرواية والفقن أكثر

من اعتمده على المبحث والنزاع . فله جاء الشافعي ، وكان شديد التأثير  
عنده أنى حليفة العقلي وتلاميذه ، شر مذهبه وأحد المصريين  
ساقشون ما بين أيديهم من المذاهب ولا يتقبلون شيئاً دون ما بحث أو  
تمحيص . كما كانوا من قبل . وبك إذ قرأت « الرسالة » للإمام  
الشافعي وجدت أن الشافعي قد ملأها كثيراً من صروب لمناقشة  
وأصول لمحاكمة العلمية . وهذا أثره مصر قبل رحيل الشافعي  
إليها . وقد كان من نتيجة هذه الحركة الشافعية أن ظهرت في مصر  
مدرسة مصر في حديدية على رأسها علان خليلان أحدهما إبراهيم بن  
إسماعيل المعروف بابن غنية المصري شكلاً ، وعسى بن أبي الفقيه ، وقد  
ألف كل منهما رسالتي في الرد على كتب الشافعي ومناقشتهم كما رد  
عليهما داود بن علي الأصمهاني .

ولم يكن تأثير الشافعي معصوراً على الساحة الفقهية بل تعداها إلى  
الساحة الأدبية فقد كان الشافعي كما هو معروف أدبياً راوية للشعر  
والأخبار قوى الإطلاع على كتب اللغة ومعرفتها بارعاً في الكتابة وله  
أسلوب جلاب وقد أثره تلاميذه المصريون في أسلوبه ، ومن مشاهيرهم  
يوسف بن يحيى الموصلي ( سنة ٢٣١ هـ والربيع الحبري ( سنة ٢٥٦ هـ )  
ولم تقتصر حركة الشافعي هذه على مصر وحدها بل تعدتها إلى الشام  
وأول من نقل مذهب الشافعي إلى الشام أبو زرعة لدمشق محمد بن

عثمان وهو أول من نولى قضاء الشافعية بمصر. ثم عزل ورجع إلى دمشق وكان الفاضل على أهلها مذهب الأبرار فبشر لمذهب الشافعي فيهم.

هذا من الساجية الدينية. أما من الساجية العلمية فقد تبادلت مصر والشام منذ فتح الإسلام العلماء فقد رأيت من جلد من يريد الأموي كان يطلب من مصر علماءها يترجمونها. وممن عند مك من البحر الكسائي الطبيب العام وكان في أول أمره يقيم بالإسكندرية وما ملك المسلمون المدينة أسلم على يد عمر بن عبد العزيز برغبته صاحبه واعتمد عليه في صناعة الطب وترجمة بعض آثار الأقدمين في الطب بشرها بين المسلمين.

وأما الساجية لأدبية فقد كان كثير من شعراء بلاط الشام يقصدون أمراء مصر الأمويين ويمدحهم مثل يحيى بن حريم الأسدي الذي قدم على عبد العزيز بن مروان وهو أميرها وقد أقام عنده وأكثر من مدحه حتى قدم عليه الشاعر بسب من رباح فتركه ومعه آخرين الكسائي وكان من شعراء عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمير مصر. ومنهم عبد الله بن الحجاج وكان يمد على عبد العزيز بن مروان أيضاً وقد مدحه وأقام عنده مدة ثم رجع إلى الكوفة. ومن الشعراء العراقيين الذين وفدوا على الشام ومصر وكان لهم في أدبائهما تأثير عميق

أبو نواس فقد ار القطين و حتمع ناديتهم وشعراهم وأسمعهم شعره  
 فصحبوا به و كبروه مثل ديتك حين الحمى وان لداية لمصرى . قال  
 السيوطى : بان أدباء مصر وشعراءه تسبقوا لمصاحبة أبى نواس  
 وكنته شعره . وروى ديتك الجن أنه قد زار مصر بعد رحلة أبى نواس  
 عم فوجد له شعرا كثيرة لا يعرفه غير لمصريين . وروى حمزة  
 الأصمى أنى أنه وجد رسالة فى شعر أبى نواس سقط منها الشعر الذى  
 ٥٤ فى اتام ومصر قال : وقده عليه رجل من حمص حافظ لشعر  
 أبى نواس وعمره ثمانين سنة كان أبى نواس يحمص فكتب عنه قصائد  
 أنشدها فى مصر .

ومن هؤلاء الشعراء : دعت بن عبي الحراعى وكان قدم من  
 العراق إلى مصر واشتهر . وفى مصر ابن أميرها المطلب الحراعى فذكر  
 مطلب ودهبه وولاه إقليم أسوان ودهبه فيه مدة ثم تركه وله مدائح  
 وأنشدها فى مصر .

ومنها أبو نواس فقد رحل إلى مصر فعلا ودرس فيها وهاج فيها أول  
 شعره وقد افترق لمصريون بسننه إليهم وعده الكندى المؤرخ المصرى  
 فى كتابه أحد فضائل مصر ولأنى تده وهو فى مصر شعر مدح فيه  
 أميره عبد الله بن طاهر سنة ٢٢١ هـ وفيه شعر بصف فيه الوقائع  
 التى كانت فى الحوف والتى قتل سبها عمير بن الوليد . وما رجع أبو نواس



الشام كان كثيراً ما يذكر اسمه في مصر ومثل .

بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا بالرفقتين وبالمصطفى إخواني

وقد كان لأبي تمام تأثير كبير في الشعر المصري فقد كان شعر  
المصريين قومه صعيبة شفته حلقاً آخر وهذه الشعراء المصريون في كثير  
من شعره يذكر منهم أحمد بن محمد الحشني الذي مدح الفتح محمد  
بن سليمان بن قتيبة بن كاد كوني في مدحه ومعها كقصة  
أبي تمام .

السيف أصدق من الـكـب في حده الحجة بين الحجة .

وبيك بعض مدح من قصيدة الحشني :

الحمد لله إقراراً بما وهب قدماً بالأمن سمع الحق وشعنا  
الله أصدق هذا المفتح لا كذب فسوه عاقبة الثوى لمن كذبا  
فتح به فتح الدنيا محمداه وفتح الضم وإطام والكرا

ومن شعراء مصر بن لذين روى الشام وأكبرهم فقه الحسن  
ابن عبد السلام الحلبي ( سنة ٢٥٨ ) وقد كان بارعاً في شعره قدم دمشق  
على الحسن بن المدير الذي كان يقصده شعراء ويمدحونه وقد حكى  
ابن عبد الله عن الحسن هذا قصة طرفة خلاصتها أن المذكور كان إذا  
مدحه شعر شعر حمد أنه . . . مدحه شعر قبيح ووجهه به مع خادم

له إلى الخُصم فلم يدركه حتى يعطى مائة دكّة ثم يصرف . وقد دخل  
الجل مرة على ابن المدبر فأشده :

رَدِّنا في أي حسن مديح كما نالدهج 'ستجع' الولاة  
وهو 'كرم' التقين طرأ ومن خذوه دجده والعرت  
وقد بقى لمحدث سكن حوزة عليهم الصلاة  
فقت لهم وما يعي سباني صلاتي إنما الشأن الزكاة  
فيأمر لي تكسر التاد بها فتسحق لي الصلاة هي الصلات  
قل : فقال لي ابن المدبر أحدث هذا من أي تمام :

من الخاء قال كسرت عيفة من حنن فيهن محم  
فقال : عمة عطفاني وأحرل .

ومن الشعراء الساميين دوى لأثر في مصر وهو الطبيب المتني وقد  
ظهر أثر هذه الرادة في شعره وفي مدائحه ككافور وأهاجيه فيه . وقد  
كان شعره امتحن أثر كبر في الشعراء المصريين كان أي العهبر  
الأنبيى وثنى بكر محمد بن موسى الكندي . وعند الله من أي الجوع  
وصالح بن رشدين وغيرهم من الشعراء الذين اتسموا ما بين حاسد يصع  
من شعره وصديق يرفع من قدره

ومن الشعراء الساميين الذين زاروا مصر واتصلوا بها اتصالاً قويا  
وكان مصر تأثير في شعرهم كثرة الرملى العلسطى ، وكان كثيرا

ما يزور مصر ويحج إليها إذا ما نعيم. ومن شعره الذي يذكر فيه محالي  
لهوه فيها قوله :

قد كان شوقى إلى مصر يؤرقى      في يوم عُدت وعَدت مصر لى داراً  
أعدو إلى الجزيرة العيجة مصطحاً      طوراً وضوراً زحى السير أطواراً  
أما الشهابُ فقد صاحبتُ شراًهمُ      وقد قصبتُ لسانى ووطراً  
من سادن من بى الأقطرِ بعقدما      بين الكتيرِ وبين حصر راداً  
وقال يصفُ دير القصيرِ وحلوانِ      وذكر أيامه فيهما :

سلام على دير القصيرِ وسجنه      تحتِ حيونِ إلى المحلاتِ  
همالكِ تسه لى مشربى دنى      وتصبح أيام السرورِ حينى  
وقد كانت الكشاحمِ حولاتِ فى وصفِ دور القاهرة وحوالِ  
أمرائها ، كما كانت له حولاتِ فى وصفِ دور حلب ودمشق وبلاطِ  
سيف الدولة . وكانت به مواقف مع كافرِ الأحشيدى والقاصى عبد الله  
ابن محمد بن الخطيب فقد عاها وله معهما مواقف وقصود مصحكة .

ومن الشعراء لمصر بن الدين وقدوا على الشام وشروا فيه شعراً  
أبو الحسن محمد بن سلمى المعروف بلعظم الشينانى ، وقد على سيف  
الدولة كما يحدثنا ابن الدليم      فأكرمه وعظم قدره . ومنهم  
الشاعر المصرى الفحل ابن حنار حمير بن محمد ، وكان أكر شعراء  
مصر ، وكان كاتباً للعالمين أحمد بن طولون ، وشعره أثر كبير فى

إثارة العدا على أبيه أحمد بن طهون . ومن شعراء مصر الذين  
جاءوا بلاط سيف الدولة ابن أبي الجيوع وابن رشدين وكان سيف الدولة  
يعدق عليهم عطاه .

ومن الشعراء البغداديين الذين كانوا يسفلون بين الشام ومصر  
فيמידون من القطرين ويقولون إليهم ما كانت تنتجها قرائح البغداديين  
جبهة كثيرة يذكر منهم الدمشقي الأصغر علي بن عبد الله ( ٥٣٦٦ )  
كان شاعر سيف الدولة والكافور . ومنهم ابن طططا الشريف  
العمري ( ٥٣٤٥ ) ومنهم أبو القيس سوار بن شراعة ، وكان  
صدوقاً لأن اديبة الكتاب المصري الكبير ، وهو ادي شاعر  
ابن اديبة في العراق والشام .

هذا طرف من أخبار الشعراء الذين قووا العلاقات الشعرية بين  
البلدين أما المعاد ، فكثير وأحدهم حمد موهورة . وقد كانت مصر  
للعلماء الشاميين خير ملجأ يأخذون إليه ويتقنون صله . فمنهم المعجم  
الغاني المعسكي وحمد مصر وصار من رجال الأحشيد محمد بن طعيج .  
ومنهم عبد الله بن يوسف الدمشقي ( ٥٢١٨ - ) راوى الموطأ  
عصر . وكان يقيم بسنن ، ول للإمام البخاري عنه : كان من ثقات  
الشاميين .

ومنهم مكحول أبو عبد الرحمن محمد البيروني الحافظ ( ٥٣٢١ )

وكان من القصص العالين بالحديث ، وه بلاميد كتيرين في الشام  
ومصر ، وله فصل عظيم على الطارين ، وهو معدود من كدر من  
أنجهم الشام .

ومهم نور رعة محمد بن عثمان الدمشقي وصي مصر ( - ٥٣٠٢ هـ )  
أقام في مصر ثمانين سنة ، ثم تولى قبة دمشق ودخل فيها بذهب  
الشامي كما تقدم ، وولاه الحسين ( ٥٣٢٧ هـ ) كان من القصص بدين  
جمع لهم بين قصص مصر والشام .

ومهم محمد التميمي القندسي ، وكان مختصاً بالحسن بن عبد الله  
ابن طنج ، وكان ذا أدب وعلم وفصل .

ومهم الحسن بن القاسم بن جعفر بن دحية الدمشقي المؤرخ  
( - ٥٣٢٧ هـ ) أقام بمصر ودد ، وله من مؤلفات شئ ، كثير ، وكان  
محدثاً أخبارياً .

أما المصريون الذين رحلوا إلى الشام وكان لهم فيه أثر عظيم  
مأموس فكثيرون يذكر مهم الحسين بن أحمد بن رستم المعروف  
بأبي ريمور لم يرد أنى كان أحد كتّاب الطولانيين قدم دمشق بصحبة  
أبي الجيش بن طولون ، وحدث بدمشق وكان من ملأ الكتب للعلم .  
ومهم أبو بكر عبد الله بن محمد الحبيشي ( - ٥٣٤٨ هـ ) وكان  
من أقصا القصص والعقيد ، تولى قضاء مصر ولتاء وحسنت سيرته

ومهمه أبو طاهر محمد بن عبد العزيز الاسكندراني الشافعي  
( ٨٣٥٩ هـ ) وقد ذهب إلى دمشق وحدث بها ، وأفاد وكان من أئمة  
الشافعية بها .

ومن لعدددين المتصيرين الذين وفدوا على الشام وكان له فيه  
أثر أبو علي حذو الحليفة مستصر بن ميثوكل قال الذهبي : وكان من  
أئمة المذهب الشافعي فلما قتل مولاه خرج إلى مصر ، ثم ذهب إلى  
الشام ووقف بها بقرى بجمع دمشق

ومهمه أبو الطاهر محمد بن عبد الله المعددي السكي ( ٨٣٦٧ هـ )  
كان شاعراً حذو أدبياً ، وفي قصده واسط واعداد ، ثم ولي قضاء  
مصر ودمشق واستجاب على بغداد .

هذه هي تحت موحدة عن الصلات العامة والأدبية التي كانت  
بين العديين في القرون الأربعة الأولى . فلما جاء العصر العاطمي  
قويت العلاقات وتولت اللون حديد ، لأن العاطمية وإن كانت دولة  
سياسية وبها كانت تعتمد على فكرة وعقيدة دينية ومبادئ علمية  
خاصة . وطبعي حدًا أن هذه الدولة كانت تسعى إلى نشر فكرتها  
وعقيدتها التي جاءت بها من مقرها . وطبعي أنصاراً يعتمدون  
إلى نشر الدعوة الشيعية التي يسمون تحت لوائها . وقد كان أول  
الخدام العاطميين في مصر لعزلدين الله يتسم بسمه الإمامة أكثر

من انه ما بسمه نيك والسطوة ، فكان يعطى من نفسه ويحفظهم  
ويلقهم له دى اله طمة ، وكان فصحا دكت قوى المرحمة ومما  
استقر أمر الدعوة رسميا في مصر حتى سعى له طوبى بن بشر الدعوة  
في غير مصر من البلدان المحورة ، والشهيرة قرب من بلاد بن  
مقر الدعوة

كان يسيطر على الشام بمشيطا من ملة الشيعة في قرطبة .  
وقد كان قبل دخول العميين بن مصر والشام دعائهم في تلك  
البلاد ، مما احل لهم طوبى البلاد مكر لهم في قرطبة في الشام ودرروا  
عليهم وحاول ان يسيطروا على الشام كما يسيطروا على مصر ، فكانت بين  
العميين وقاتل وانتفى لطوبى في الشام حتى دخل قرطبة ، ست امر  
العميين فيه فآخذوا يشنون دعائهم يشروا مذهبهم وعقيدتهم .  
وكان الأهرار الذي قد أسس في سنة ٥٦١ هـ في مصر  
ودار الحكمة - التي تم في سنة ٥٦٥ هـ في عشر حدى لأولى سنة ٥٦٥ هـ -  
هما مقرين الرئيسيين لدعاة المذهب ومهمهما كانوا يخرجون إلى الشام  
فيشرون الدعوة وعودون يستقر المعبر الجديدة والدروس . وقد  
قوى أمر هذين المقرين لتفويض وانشر هيتهما في العالم الإسلامي  
ومعهما من من تقى لأرض هذا لرحمة لدرسى الشاعر  
لمؤرخ مصر حسرو يقصد دار الحكمة من بلاد مصر ويصل إليها في



سنة ١٢٣٩ هـ ويدرس فيها ويتلقى التعاليم من داعي الدعوة ثم يعود إلى  
 بلاده لينشر مذهب ، وطسمى أنه كان في طريقه على الشام ينشر فيه  
 مذهب . ومن قصده أحد من ملاد درس احسن بن الصالح مؤسس  
 مذهب لإسماعيلي الداعي ومنهم اعدا الأندلسي عماد العزيز بن  
 في الصلت وكان في القرن السادس . ومنهم عبد اللطيف  
 المعزدي وكانت رايته في القرن السادس أيضا .

ولكن هذه المذهبين هما احدث من دعوتهما في مصر فقد حول  
 المسجد العتيق إلى مسجد عمره ومسجد ابن طولون إلى مراكر تذكر  
 فيها الدعوة ، نصف إلى ذلك مسجد الحكمة ويبره من المسجد .  
 وقد صارت هذه المذاهب كدور دعوة وشطوط طسمى ، ولكن دار  
 الحكمة كانت أعظم عدد مراكر شطوط . ومنهم كاتب مدرس علوم  
 الفلك والحكمة وعقائد أما الأبره فقد كانت مذاهب الشيعة  
 ومعه الشيعي أعجب عليه ، وكذلك لأمر في المسجد الحاكم .

أما مسجد العتيق ومسجد ابن طولون فقد طس بهما أثر من علوم  
 أهل السنة . وفي دار الحكمة والأهر وتصر الخلافة — في بعض  
 الأحيان — كانت تعقد بحس الحكمة وشترائ فيها كثير من كهراء  
 الدولة وورائهم . داعي الدعوة والدعوة ، وكانت هذه الحس متعددة  
 بمجموعة بحس طبقات الناس من رجل ولساء وكان داعي الدعوة

هو الذي يشرف على تنظيمها وترتيبها . وقد كانت المحاسن في أول أمرها حرة علنية يلتحق بها من يشاء ويدرس فيها المرء ما يريد من المذاهب الفلسفية والدينية ، ولكن هذا لم يلبث طويلاً فتحولت هذه المحاسن ومخاصة محاسن دار الحكمة إلى مجالس سرية يعمل فيها الدعاة على نشر المذهب العاطلي بطريقة عملية يرح فيها بين الفلسفة والاحاد والفقه الشيعي . وهذه الدعوة مراسب ودرجات كالمسوية لا يتوصل الإنسان فيها إلى مرتبة أعلى من مرتبته إلا بعد الفحص والتجربة

وقد اعتمد العاطليون على هذه الدعوة في نشر سلطانهم السياسي في الشام فقد انتشر المذهب فيه انتشاراً قوياً وعظم أنصاره وخصوصاً في عهد الحكم وفي عهد آل عمر أصحاب مكتبة دار الحكمة في طرابلس فقد أنشأها علي بن محمد بن أحمد بن عمر خلال ملك سنة ٤٧٢ هـ وجعلها مقراً لشر المذهب وغذاها بالرجال والكتب والأموال ، فأصبحت طرابلس مركزاً من أعظم المراكز الشيعية في بلاد الشام . ويجب أن يعرف أن المذهب السني لم يقرض في هذه الفترة ، فقد طرد في الشام بل في مصر نفسها حمير من رجال السنة بدكر مهم بأمر السجري الحافظ المحدث ( ٤٤٤ هـ ) وقد كان يتنقل لشر الحديث ومذهب أهل السنة بين الشام والعراق ومصر . وقد أقام في مصر طويلاً وسامات وله فيها وفي الشام تلاميذ كثير ، ومنه يحدث مصر

أبو إسحق إبراهيم بن سعيد الخنجل ( - ٤٨٢ هـ ) وكان ثقة صالحاً  
 تلقى العلم عن شيوخ الكوفة ثم رحل إلى مصر وفاء فيه بشعر الحديث .  
 وهؤلاء كما نرى كلهم من كبار أئمة الحديث في العلم الإسلامي .  
 أما الفقه السني فقد كان له في مصر يامئذ شيوخ رحل إليهم كثير من  
 الشاميين أمثال أبي الحسن عبد الله بن مسكين المعروف بالبرجيج  
 الفقيه ( - ٤٤٧ هـ ) وأبي عبد الله محمد بن سلامة القفصعي الأديب  
 الفقيه ( - ٤٥٤ هـ ) وكان إماماً تولى فقه السنة في الديار المصرية  
 ورحل إليه المماليك من جميع لأقطار ومن تلاميذه محدث بعدد الأشهر  
 الخطيب البغدادي . ومعهما أبو القاسم علي بن محمد نصيفي ( - ٤٨٧ هـ )  
 روى عنه الحديث جماعة من مصر والشام والعراق ومن أعطاه الإمام  
 الحديث أبو الحسن علي بن الحسين الخنجلي المصري ( - ٤٩٢ هـ ) وكان  
 أعلى أهل مصر إسناداً وله كتب ضعيفات في الحديث وهو من الكتبة  
 الموثوقة ومن فقهاء الكوفة الذين كانوا في مصر في العصر العباسي  
 رجاء بن عيسى الأنصاري ( ٤٩٠ هـ ) وغير هؤلاء كثير .  
 فنت ترى أن الفاطميين على الرغم من محاربتهم القضاة على الفقه  
 السني ولما ذهب لسنة في الشام ومصر . استطاعوا ذلك فقد حل في  
 الشاميين والمصريين رحل يحفظون مذهب السنة ويعملون على محاربة  
 المذعة الفاطمية .

ولما انتهى الدور العظمى في بلاد الشام أحدثت البلاد ستفن  
ثقافياً وعقائياً ومذهبية عن مصر في الأمراء الذين امتلكوه أخذوا  
يؤسسون المدارس الجديدة، ففي سنة ٥١٥ هـ نشئت أول مدرسة في  
حلب بناها الأمير بدر الدولة سبكي من أرق لأهل السنة ثم جاء  
بعده الأمير نور الدين محمود بن زكي وانشأ مدرسة ثنية في حلب  
سنة ٥٤٨ هـ وحلهم للقاضي ابن عسرون بشر المذهب الشافعي . كما  
بنى للقاضي نفسه مدارس في دمشق وحماه والقدس . وفي دمشق نشأ  
أول دار للأحدث في الإسلام ، ثم جاء من بعده صلاح الدين و أكثر  
من إنشاء المدارس السنية في العواصم الشامية كحلب ودمشق وحماه  
وحمص والقدس

وفي هذه الفترة ازدهر في الشام مع من العلم وثقافة وهم ما كان  
من تأثير الصليبيين في الشاميين وتأثير الشاميين في الحملانيين . وقد نتج  
عن ذلك معجزة من العلماء وازدهرت العلوم المسيحية وارتقت  
طبقات من المسيحيين علمياً ، في طرابلس مثلاً ازدهرت مدرسة  
اليعاقبة التي بلغ العلم فيها أوجاً عالياً ، ولم تزد العلوم المسيحية وما إليها  
من الفلسفة والحكمة والآداب المصرية في عصر من ازدهارها في  
هذه الفترة . ولم تقتصر هذه الحركة على الآداب المسيحية والعلوم ،  
فقد ارتقت العلوم العربية الأدبية والتاريخية بين المصريين وسع فهمهم

مثل أنى المروج ابن العدى المؤرخ العظيم وغيره كثير من نبهاء  
المصارى الشاميين .

ولم تقتصر هذه الحركة على المصارى الشاميين من المسلمين أيضاً  
استمدوا ما جاءهم به الصليبيون من العلوم والحضارة ففشطت الثقافة  
الشامية ، ولا تثبت عدداً في مصر قد استهدت من هذا النشاط  
لشامي فيها كانت قد انحدرت عليه من مكائنها في أواخر العصر  
الوطى لأصراف رجال الحل والعقد فيها عن العناية بالعلم وأهله إلى  
مؤلف الأمور وحفظها . وهكذا وقت بلاد الشام بعض ما لمصر في  
عنفها ، منذ القديم .

ولما دخلت مصر تحت الممارة الأيوبى قضى صلاح الدين على  
الملة هذه العظمية تماماً وفعل هو ورجاله أملاً ما كان ينبغي أن تصدر  
عنه ، قال بن أنى صي يذكر ما فعله رجال صلاح الدين بعد الاستيلاء  
على مصر : « ومن جملة ما فعله خرابه الكتب وكانت عجيبة من عجائب  
الديار ومن به لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي  
كانت « قاهرة » وهل السيوطى : « ووجدت خرابه كتب يس في الإسلام  
له ، ظهير تشتمل على أنى ألف مجلد ، منها بالخطوط المدسوبة مائة ألف  
مجلد ، وأعطاه القاضى « الفاضل » وسواء بيعت هذه المكتبة العظمى  
أم حرقها ، حتى الفاضل وتصرف فيها فيه اثر عقده ، وأصبحت  
مصر من مصفاة عطشى لا تقل عن مصفاة الإسكندرية في مكتبتها .

ومما فعه صلاح الدين أيضاً أنه قضى على جميع التوسّات والآثار  
 العاطمية الشيعية وأحل محلها مؤسسات الشافعية ونشر المذهب الشافعي  
 وقد استمر الأهرام مهلاً نحو من مئة سنة لا يقرأ فيه صلاة الجمعة  
 ولا تُلقى فيه الدروس منذ (سنة ٥٦٧ هـ) إلى (سنة ٦٦٥ هـ) وفي  
 هذه السنة (٦٦٥ هـ) سمى الأمير عز الدين أيمن الخلي نائب السلطنة  
 في إعادة بناء الجامع وإقامة الصلاة فيه فحدد عمره وأثته ونشأ فيه  
 مقصورة ومدرسة حديد بن ورسب فيه دروساً لقراءة الفقه الشافعي  
 وقد عوض صلاح الدين مصر بن عز الدين وأمرهم ومكثتهم بالمدراس التي  
 أسسها في مصر على نمط مدارسها في الشام، فزدها فيها المدرسة الصلاحية  
 بحمار الإمام الشافعي وقد جعلها لتدريس المذهب الشافعي .

والسيوطي : هي أعطى مدارس الدنيا ويقال لها تاج المدارس .  
 وقال ابن حنبلان : « لما ملك صلاح الدين بن أيوب الديار المصرية  
 لم يكن شيء من مدارس في الدولة العميدة كان مذهبها مذهب  
 الرافضة والشيعية فلم يكنوا يقولون بهذه الأشياء فبنى صلاح الدين  
 بالقاهرة المعمرى المدرسة المحورة بالإمام الشافعي وبنى مدرسة محورة  
 بالمسجد الحسيني بالقاهرة ، وجعل دار سعيد السعد ، خدام الخدماء  
 بمصر بين حناياه ، وجعل دار عيسى الوريث العميدى مدرسة للحنفية وهي  
 المعروفة الآن بالسيوفية ، وبنى لمدرسة التي بمصر المعروفة بربيع التحرير  
 للشافعية وتعرف الآن بالشريفية ، وبنى بمصر مدرسة أخرى بمسكية

وهي المعروفة بالقمحية». وبعد عصر صلاح الدين كثرت المدارس في  
 مصر والشام وقد كانت هذه مدارس جميعاً تتدريس وتتسوق وقد  
 قوى الاتصال العلمي في عصر هذه الدولة لا بين الشام ومصر حسب  
 ما بين العلم للإسلامي جميعه فكنت ترى انعاماً أو متعة مصري في  
 مدارس حلب أو دمشق أو امدس أو الحدر أو بغداد كما كنت ترى  
 هذه أو صاحب النسخ في مدارس القاهرة والاسكندرية ودمياط  
 ومن المعلمين حسي المؤرخ الشهير كان كثيراً ما يقصد مصر وبقى فيها  
 مكافاً وأهلاً وأمر به من انقضى مصري (٦٤٦هـ) كان إذا قصد  
 حلب موصعاً كرهه وعاشه ورجعها والعلامة عبد العظيم  
 بن أبي الأصم مصري الأدب (٦٥٤هـ) كان رفيع القدر في  
 اللغة الشامية ومؤرخ سمع من الحوري (٦٥٤هـ) قدم دمشق  
 من بغداد واستوطنها ثم رحل إلى مصر وله في هذه ومدرسها آثار  
 حسن. ومن أبي نضمة الحكيم مصري (٦٦٨هـ) أوفى في  
 الشام وكثره عنه مؤلفه ورجلاته من محمد بن عبد الرحيم بن المعجمي  
 الحاي (٦٧٠هـ) كان نائب امدس في لعيه ثم في دمشق  
 ونشرت المؤرخ ادمشي بن القلاسي أسعد بن المظفر (٦٧٢هـ)  
 كانت له حسنات حديث وتاريخ في دمشق ومصر. والإمام المروى  
 يحيى بن شرف (٦٧٦هـ) كان من كبرلاء الشامين امدس أود  
 مصر من منعه ومصلحه ودينه وكان من أعظم الشامين ثراً



في قوة الصلات العينية بين المسلمين الإمام نبي الدين من نيمية  
(٥٧٢٨ - ) فهو لدى حدد للإسلام بعد دثوره وأحيى التفكير  
الصحيح بين علماء مصر والشام ودافع عن ذلك دواع لأنظار بعد  
أن كانت الفوضى العينية منتشرة في القصرين - كما أن محمد عبده  
باحت حماية الحياة من السياسة في قوة طمأنينة أنفسهم ما يعترف به العلم  
هم فوضعوا ما بعد الإسلام قبل ما حوله ، غير أنهم وحدوا من بعض  
المعارف نصراً ومن البعد عن بيع الدين أعواناً فشرذوا جمهور عن  
موصفهم وتحكموا في التصيل والتفكير وعلموا في ذلك حتى قعدوا من  
سبق من لأمر في دعوى العداوة بين أهل الدين ، ووهب مدافع  
ألسنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام .

ولحق أن من نيمية هو الذي أعاد القول الساتنة في الشام ومصر  
بل في العالم الإسلامي . وهم لدى دأب علماء مصر والشام وبطونهم  
وأراهم الحق وكشف عن عيوبهم أشتار أجهل ، وقد هاجموا من ممة  
المتصوفة الجاهل كأصحاب الطريقة الأحمدية الذين كانوا قد ملأوا الشام  
ومصر وكافوا حواميس القدر وعيوبهم حقون إليهم أهدر الملال  
وأخوات . وقد ثار عليهم الشيخ فقتلت له الخاس في مصر والشام  
وناقشهم فكان هم صلاتهم ونهم قوم دجالون محمرون للشرعة .  
وقد انتصب بعض العلماء للدفاع عنهم في الشام فعصب الشيخ وهجر

إلى مصر لعله يجد فيها مخرجاً من ضيقه ونصراً على الحق فما وصل إليها  
عقد له مجلس في القنطرة حصره العدو والقصة وأكار رجال الدولة  
وأراد أن يتكلم على عادته ويأقشهم فلم يمكنه وفيه الشيخ نصر  
لمسجى فهاجهم وكذلك فعل الشيخ ابن محبوب وابن عديان وأتهموه  
في عقيدته وانتهى به المجلس أن نقل منه إلى السجن في الحب بالقلعة،  
وأعد عهد خرج منه فعكف على دروسه طائفة من عقلاء المصريين .  
ويظهر أن حربه قد أحسوا خطتهم وأرادوا الاعتذار ولكن الشيطان  
سوء لهم أن يستمروا في ضلالهم لما رأوه من مكانة الشيخ في قلوب  
الامة والخاصة فعمروا على الاحتيل انفيه من الديار المصرية وسعوا  
لدى السلطان بذلك فهداه إلى الإسكندرية ونكسوه العرج من دار  
السلطان . وامكن أصبح له التدريس فكان الممنوع يدخلون عليه  
برافات ررافات وشتهمون باهلاً والحكمة وسائر العلوم وكان يحضر  
الجمعة ويعمل لمواعيد في الجامع على عادته . وقد بلغ هذا الخبر أهل  
دمشق حافوا عليه العائنة حتى قل مؤرخهم تميمه ابن كثير يصف هذه  
الحادثة . وسيروا إلى الإسكندرية كهيفة لم يزل أحدًا من أهلها  
يتحسر عليه فيقتله عليه فآزاد ذلك الناس إلا محبة له وقرباً منه  
واستدعاء به واشتغالا عليه ، وانفق أنه وحده في الإسكندرية أن طائفة  
من جمعة ابن عري وإس سبعين القشيب بوحدلة الوجود قد انتشروا

هذك حار سيم وهتث متدرهم وفتح عمدته واصتت كثير منهم ،  
 ثم لما رالت دولة ملك المظفر أبي شكير بيبرس ، الذي كان مريد  
 للشيخ صر لمسحى عدواس نيمية ، وعاد ملك إلى السلطان محمد ابن  
 قلاوون ، أضيق سراحه من العرج فقدم القاهرة ولقاه السلطان في محفل  
 عظيم مشي فيه معه القضاة مصريون و شاميون ، ثم سكن الشيخ اقرب  
 من مشهد الحسيني وأحد الدس يترددون عليه ، القضاة منهم من يمتد  
 إليه ومنهم من يتصل . ثم لما رجع إلى دمشق أقام مدة يقى ويحارب  
 المدع والصلالات وفي سنة ( ٥٧٢٦ هـ ) جاءه رسوم من السلطان  
 باعتقله من حديد في قلعة دمشق لأنه أفتى في الس. إلى قبور الأئمة  
 فنهى لم ترق حصومه من عهد الشام ومصر فسموا في اعتقاله شيء  
 المرسوم واعتقل وفي سنة ( ٥٧٢٨ هـ ) أخرج ما عنده من الكتب  
 والأوراق والأقلام ومع من المطبعة والكتابة وحملت كتبه إلى حراة  
 المدرسة العديّة وكانت نحواً من ستين مجلد وأربع عشرة رطة  
 كراريس ففطر القضاة فيها ونفروها منهم ، وكان سبب ذلك أنه  
 أفتى فتواه في زيارة القبور وقام عليه الشيخ الإخشيّ الدمشقي استجده  
 ابن نيمية واتهمه بقره التصاغة في العلم فطعن الإخشيّ إلى السلطان  
 عاصر وشكاه إليه فبرسم السلطان عند ذلك بإخراج ما عنده من  
 الكتب وأوراق . وفي هذه السنة مات ابن نيمية بعد أن أحيا  
 ما درس من العلم والتفكير .

وما مسطرات ابن سمية وحواله بلا صورة من صور كثيرة كانت  
تقع في العلم للإسلامي عامة وعديدين انطوين خاصة . وامت ابن سمية  
كثيرون في القرن الثامن والاسع يذكر منهم الإمام ابراهيم بن حنبل  
العسلي الدمشقي السهمري الذي قل عنه السلامي به دخل إلى بلاد  
مشرق مرراً إلى بغداد وبساور وخصها وشيخها وحبها والأندلس  
مصر . وكان متحلي مذهب ابن حزم الطاهري وقد دخل مصر  
وغدت فيها ومصر وخرج منها .

ومنها الشيخ لأرقوهي محمد بن إسحاق مصري لحي ( ٥٧٠١ )  
بالي علم في شير وواسط وبنجد والموصل ودمشق وقدس والقاهرة  
وانتهت إليه علوم الحديث في وقته ورحل إليه الدس من أقصى البلاد  
وسكن مصر واستقر بها نحو ثلاثين رحل إلى مكة لبعث فيها .

ومنها شمس الدين البروجردي إسحاق بن محمود ( ٥٦٦٩ ) بقي  
العلم بعدد ثم رحل إلى مصر وتعلم على ابن الدس الحديث والأمير  
في لغور من مذهب بن شامة من بغداد ثم استقر بمصر والإسكندرية  
يحدث الدس ويعلمهم وتولى حاقاه سعيد السعداء إلى أن مات بمصر .  
ومنها صبيح الدين دانيال بن منكلي الكركي ( ٥٦٩٦ )  
وأصله من كرك الشام . وسها تعلم ثم رحل إلى بغداد وحب ودمشق  
وساور إلى مصر والحجاز وحدث بها ورجع إلى البيت المقدس وتولى  
قصه الشمك .

ومهم عن الدين عبد العزيز بن عبد السلام دمشقي ( ٥٦٦٠ - )  
سمع من ابن عسكر وغيره من علماء دمشق وصار رئيس فقهاء هذه  
وحط في الجامع الأعظم بها ثم خرج إلى مصر فتنفذه هناك إصلاح  
وأمره وولاه حطة جامع مصر وقصده واستفاد منه نصريون كثير  
فقد كان واسع العلم بالأصول والفروع وأمرية في معرفة الأحماد  
ومهم عبد العزيز بن محمد بن الرافعي الدمشقي ( ؟ ) رحل إلى العلم  
في البلاد فسمع تصر وعداد وتقدم عليه صنف من السكر مثل  
خطه البرالي وعبد المؤمن البغدادي وأبو الهداء الجوى وندر الدين  
بن جماعة . وكان أحب دمشق كثيراً ما يرسلوه إلى دار الخلافة  
وملوك مصر .

ومهم شمس الدين محمد بن محمد الصوفي المحدث ( ٦٨٢ هـ ) تعلم  
بعداد والعراق والشام والشرق والحجاز وحوز بيت المقدس طولا  
وأقام بمصر يعلم وله تلاميذ في جميع الأقطار .

ومهم محمد بن يوسف الحرري المصري ( ؟ ) تعلم ببعداد  
ومصر وكان عارفاً بعلومه ، التفسير والعقائد والأثرية والمطابق ، عرض  
عليه قضاء مصر ودمشق فأبى .

وهناك مشايخ ومثبات من العلماء نصريين الذين كانوا يعملون في  
الشام والعراق ، كما أن هناك مشايخ من العلماء الشاميين الذين كانوا

يعملون في مصر أو يقومون بمص وطائف الدولة فيها . ولا شك في أن هؤلاء كانوا يعقبون الصلات بين المدين . ولا عجب فإن عصر لم يكتف قدر رطهين المملكين برباط قوى سواء في السياسة أو في العلم والاحصاء . ثم إنه لا شك في عهدنا في أن للأزهر اليد الطولى في شد هذا الرباط فيه أصبح في عصرنا أبك محجة المسلمين من شتى قطار الأرض وقد تبع عدد صلاه في أوائل القرن التاسع زهاء سبعة وخمسين رجلاً من بين عجمي وديلمي وورفي ومغربي وشامي . كما نجدنا بذلك المقرري .

لكن هي صورة عن الحركة العلمية والدينية بين القطرين منذ القرن السابع إلى نهاية القرن التاسع . أما الحركة الأدبية فما كانت أقل شأن فقد تبع في القطرين تحول مثل ابن سناء المصري ( ٥٧٦٨ هـ ) وابن أبي حنيفة ( ٥٧٧٦ هـ ) وشمس الدين الهواري ( ٥٧٨٠ هـ ) وهؤلاء شعراء محبسون حلقوا آثاراً تدل على سمو كعبهم في الأدب لمصرى الإسلامى . ومن الأدباء المصريين المحول في هذه الفترة الشهاب الففشمى ( ٥٨٢١ هـ ) والندر الدمامى ( ٥٨٢٧ هـ ) والشمس الموجي ( ٥٨٥٩ هـ ) ومؤرخ بيمرس لمصوري ( ٥٧٢٥ هـ ) وابن دققي ( ٥٨٠٩ هـ ) ومقرري ( ٥٨٤٥ هـ ) وابن تيمى بردي ( ٥٨٧٤ هـ ) وابن مظهر ( ٥٧١١ هـ ) والشهاب لمويرى ( ٥٧٣٢ هـ ) وغيرهم . وقد

كان هؤلاء الأئمة تلاميذ من التميميين قصدوا إلى دير مصر وتعلموا  
عليهم في الأهر أو في غيره من المعاهد المصرية ، ولورح استقصى أسماء  
هؤلاء الطلاب لجئناك بسفر ضخيم .

كما أن الشام في هذه العصور قد رحر بضائفة من الأعلام في الشعر  
والأدب مثل ابن مكاسر الدمشقي ( ٧٩٤ هـ ) وابن حجة الحموي  
( ٨٣٧ هـ ) وعلاء الدين العروالي ( ٨١٥ هـ ) وابن فضل الله العمري  
( ٧٤٨ هـ ) وأبى الغداء ( ٧٣٢ هـ ) والعرابي الدمشقي ( ٧٣٩ هـ ) وابن  
الوردى ( ٧٤٩ هـ ) والذهبي ( ٧٤٨ هـ ) وابن كثير الدمشقي ( ٧٧٤ هـ )  
وابن شكر الكبي الخلي ( ٧٦٤ هـ ) والصلاح الصفدي ( ٧٦٤ هـ )  
وابن عرشاه ( ٨٥٤ هـ ) والرهون المي ( ٨٨٥ هـ ) وابن حبيب  
الخلي ( ٧٧٩ هـ ) وابن الشحنة الخلي ( ٨١٥ هـ ) وابن وصي شهية  
( ٨٥١ هـ ) وبدر الدين العيني ( ٨٥٥ هـ ) ، غيرهم كثير .  
وقد كان هؤلاء الشيوخ طلاب يقدون عليهم من مصر كما أن كثيراً  
من هؤلاء من درس بمعاهد مصر ، وإليه لما صدر حدّا أن لا يحد في  
ترجمة عام من علماء هذين القطرين في تلك العصور أنه لم يرحل إلى  
مصر أو إلى الشام أو أنه أقام في إحدهما ودرس وتخرج على يديه  
الطلاب الكثيرون . وفي آخريات القرن التاسع وأوائل القرن العشر  
بدأ مشعل العلم ينمو ويره في الشام وفي مصر أيضاً وذلك لاضمحلال



من السيرة في الشء وفي مصر : فاصطرب من الأزهر في مصر وجامع  
 بني أمية في دمشق وحب ومدرسة لمسجد الأقصى في القدس . ولما  
 دخل الأتراك لعمريون هذه لدير سنة ٩٢٢ هـ هبط المستنصر العلي  
 هوذا سريعا كما يقول الأستاذ عبد : . . . وكما قضى ديون التحقيق  
 الأساسي على حضرة الأندلس وعلومها وعلومها وفق خطة منظمة ،  
 وكذلك عمل العبارة الأثر على تقويم صرح المدينة الإسلامية في  
 مصر عقب الفتح مباشرة ، وقضى السلطان سليم فتح مصر في القاهرة  
 هذه ثمانية أشهر يجمع من تراث مصر وثروتها العلمية كل ما استطاع  
 وبحر المسحود والآثار الخالدة يستخرج منها ما شاء ، وبعث بها إلى  
 قسطنطينية ، ويقص على كثر مصر ورعاها وعلمائها ورجال المهن  
 والعلوم بها ومهرة الصنع والعمل ورسائلهم جموعا حاشدة في السفن  
 إلى قسطنطينية ، ويستخرج الكتب من المسحود والمدارس والمجموعات  
 الخاصة ليودعها مكاتب العاصمة التركية وما رالت منها إلى اليوم بقية  
 كثيرة في مكاتب إسطنبول ومنها مؤتمت حطية لكثير من أعلام  
 القرن التاسع الهجري المصريين مثل المقريري والسيوطي والسحوي  
 وابن أبيس ، ما بنذر وجوده بمصر صاحبة هذا التراث العلمي وهكذا  
 بهار صرح الحركة الفكرية في مصر الإسلامية عقب الفتح التركي كما  
 سهرت عنصر القوة والحياة في المجتمع لمصرى . . . ونصب الأزهر

ما أصاب الحركة الفكرية كلها من الانحلال والتدهور واحتق من  
حلقاته كثير من العلوم التي كانت زاهرة من قبل حتى إن العلوم  
الرياضية لم تكن تدرس به في أواخر القرن الثاني عشر . . . على أن  
الجامع الأزهر كان يقوم يومئذ بعظم وشمى مهمة نبيح به أن يقوم به ،  
فقد استطاع خلال الحقبة الثامنة أن يستبقى سمته من مكانته . .  
فيعدو ملاداً أخيراً علوم الدين و اللغة و لغو و لغو خاص معفا  
حصه اللغة العربية تحفظ في أروقة كثير من قوتها وحيويتها ويدر  
عم التدهور الهائى و يمكنها من معاملة لغة الدخيل ومة ومة . .

وراء كانت هذه المهمة السامية التي في القدر و مهمها إلى اجمع  
الأزهر في تلك الأوقات العصية من حياة الأمة المصرية و العالم  
الإسلامى نسره هي أعظم ما أدى الأزهر من رسالته و أعظم ما وفق  
لإسدائه علوم الدين و اللغة خلال تاريخه الطويل حافل . .

قول و إن ما أصاب مصر من العزو العائى أصاب الشام ، فقد  
هوى العثمانيون معالم دور العلم و حرقوا الكتب عما بقوه إلى عاصمتهم  
من الكتب و الدخائر و التحف . و في هذه الفترة انصرف الناس عن  
علوم الأدب و الدين الصحيحة إلى القشور و الخط العلم و الأدب و هزل  
الشعر و أقمرت مدارس الشام من رحلتها و اصمحت دور كتبها من  
الكتب و الآلات ، و قرب متووها بهداء ما فيها من الناس إلى

حراث المرزاة والأمراء والسلاطين ، وكانت دمشق وحلب والقدس  
أعظم مدن الشام مصاناً لهذا المرو الجائر . وفي هذا العصر كثرت  
الطرق الصوفية وتنتشر التصوف في الطبقات عامة . ولولا الأهر  
في مصر لاطفت شعلة المير في الشام .

على أن هذا كله لم يمنع من ظهور بعض الشعراء والأدباء والعلماء  
الدين كان لهم صوت مسموع كعائشة الماعوية الدمشقية التي ماتت  
في أواسط القرن العاشر ومما يابى الدمشقي الرومي ودرويش الطلوي  
( — ١٠١٤ هـ ) ومبعض الدمشقي ( — ١٠٨٠ هـ ) وابن عبد الجواد  
الشريبي المصري ( — ٩ ) وعبد الله الشبراوي ( — ١١٧١ هـ )  
ويوسف الحمي ( — ١١٧٨ هـ ) . وقد خلف كل واحد من هؤلاء  
دواوين شعر وثراً عمت آخر بصور له الصلة العلمية بين القطرين  
كما يصور له الصنف العلمي الواضح الذي كانت عليه البلاد جميعاً .  
وهذا بعض علماء سقوا في القطرين وكان لهم فضل في إعادة  
بعض الصلات العلمية في إبان تلك العصور لمطمة بذكر مهم ابن عباس  
المصري ( — ٩٣٠ هـ ) وشمس الدين الصالح ( — ٩٤٢ هـ ) وابن  
طولون الصالح ( — ٩٥٥ هـ ) والحسن البوري ( — ١٠٢٤ هـ )  
ومرعي الكرمي ( — ١٠٣٣ هـ ) والشهاب الخفاحي ( — ١٠٦٩ هـ )  
ويوسف البديهي ( — ١٠٧٣ هـ ) وعبد القادر اسمعادي ( — ١٠٩٣ هـ )

والسيد المرتضى ( ١٢٠٥ هـ ) وكل من هؤلاء آثار علمية قيمة تشهد بعلو كعبه ، وقد كان لهذه الآثار المصل العظيم في نقاء اللغة العربية حية تنتج .

هذه هي الصفحة الوحيدة لمشرفة من كتب الحركة العلمية والعقلية في العصر العثماني بلاد الشام ومصر . أما بقية صفحات الكتب سود فائمه لا ترى فيها أثر للسر والعقل والهدى ، فقد أصبحت جماهير المسلمين يقرأون القرآن وهم لا يفهمونه . ونسعى علماء الدين والمحو والحديث منهم لا يستطيعون كتابة سطر من اثنين بعدة صحيحة سليمة ، وصار خط ، الجمعة والعبدون يرددون خطاً مكتوبة في عصور سالفة ، هذا كان حال المسلمين . أما المصري فقد كانت حاضره فصل كثير من مدارس الإرسائيات التشيرية في بلاد الشام كانت تسمى بتعليمهم اللغة العربية تعبي صحيحاً ، وتحرص على إحياء الأدب العربي ، وكانت لمطاربة لموارد والأرثوذكس وأدبهم المصل لمشكور ، ومن عظماء المصري الذين كان لهم أثر حميد في الحفظة على اللغة العربية في هذا العصر المطرب مكاربوس الحبي الأرثوذكسي الذي خلف آثاراً علمية قيمة ، ومن أعظمه رحلته إلى القسطنطينية ، ومنهم مطران حرماتوس فرحت الحبي ( ١٧٣٢ - ) وقد كان عارفا بالعربية والمريانية والملايكية والإصبات والتاريخ ( ٦ )

والفلسفة ، وقد اشتغل بالتأليف وله آثار قيمة وتلاميذ فحول . ومنهم  
 الشرس عددته راخر لكاتب يكي حتى ( - ١٧٤٨ م ) وكان على  
 حب واسع من علم الأدب واللغة وهو صاحب الفصل لأكر في نشر  
 المطبعة العربية السورية لأنه مؤسس أول مطبعة في سدين وهي مطبعة  
 الشوير .

هذه هي نظرة إلى ما كانت عليه البلاد الشامية . أما مصر فلم يكن  
 حظها من العلم كذلك ، ولم تسعد بها إلا دحول مالميون معجوراً  
 بحش من رجال العلم ، وقد كون باليهود لمعهد العربي مائة هرة ،  
 وحين فيه بجمة علمية سطت أعماله وقد كان بمعهد فروع عشرة  
 وإليك بيانها :

- ١ - فرع التشريع والديانات والتفريد .
- ٢ - فرع الإدارة والسياسة .
- ٣ - فرع الشرطة والأمن .
- ٤ - فرع التاريخ ونظام الحكم .
- ٥ - فرع العسكرية .
- ٦ - فرع التجارة والصناعة .
- ٧ - فرع الزراعة .
- ٨ - فرع التاريخ الطبيعي .

٩ الآثار القديمة .

١٠ فرع النيل وفيضه .

وقد جعل لكل فرع أعصاب يعملون فيه ويظهرون الملاد ويجمعون  
بأعيانها وشماها ويبشرونهم ويبشرونهم في موصفاتها ، وقد دهش  
لمصريون هذا الجيش العلمى ونجحوا به ، ولا عجب من نصري  
مطور على حب التطبع إلى العلم والسعى إليه ، وقد حدث مؤرخ ذلك  
العصر اخبرنى عن إغجاب المصريين بالحركة العلمية الفرنسية في مصر  
حديثاً ممتعاً في كتبه فقد اطالع مصريون عن كثب على مظاهر ترقى  
المكرى الحديث لدى وصت إليه ورثة ، كما طعموا على منهج في  
التفكير لم يعرفوها ، وعلى آلات وأوائل حديثة لم يسموا بأحدها ،  
ومن أمتع فصول كتاب اخبرنى فضله لدى كتبه عن دار الكتب التي  
أشأها الفرنسيون في درب المصرية ، وما فيها من الكتب والمخطوطات  
والمخططات والخرائط والصور الممتعة . ولا يقل إعجابه عن إعجابه  
بدار الكيمياء والمختبرات العلمية وما شاهدته فيها من العجائب والغرائب .  
ولاشك في أن أمثال اخبرنى كانوا كثيرين ، فقد فتوح الفرنسيون  
مؤسساتهم هذه للمصريين عامة ، ونسوا في القاهرة معهد آخرى بشر  
الحضارة الجديدة ، ومن أعظم هذه معهد مدرستان الفنون أوحدوها  
لتعليم أطفال الفرنسيين المولودين في القاهرة ، كما أنشأوا في مصر

حرمه عربية وحري فرسية ومصانع للورق وأخرى للأقشنة وغير  
 ذلك ، وحدث الخديوي أن الفرنسيين كانوا يرحلون بالزوار المصريين  
 ويقومون بالتجارب العلمية الكيوية منهم ، وأن المصريين كانوا  
 مدعشين تلك الأعمال المعينة . ولا شك عندما أتت في أن الجليل  
 الجديد كان يحضر إلى العلوم القديمة طرة استخفاف بعد أن شاهد  
 ما شهد من مظهر العلم الحديث ، ولكن خروج الفرنسيين من مصر  
 ( سنة ١٨٠١ م ) . قضى على كل ما كان يعمل من مصر فيما بقي فيها  
 الفرنسيون فبخر وجههم نهض كل شيء وأخذ المستوى العلمي ينحط ،  
 وكاد أن يعود إلى ما كان عليه قبل دخول الحملة الفرنسية ، ولا أن  
 فيص لله مصر من أحد بيده من حديد وسر سها في سبيل التقدم ،  
 أعني بذلك محمد علي باشا ، فإنه أدرك أن التعليم الأزهرى وحده لم يعد  
 كافياً لمخاراة أمة القوية الحية ، ولذلك بدأ طر التعليم في مصر وعمد  
 إلى إنشاء مدارس الابتدائية والثوية والعالية كمدارس الطب  
 والهندسة والحربية والعمون والصناع واليهت ، ثم رنى أن هذا وحده  
 ليس كافياً لتمحيص الثقافة في مصر فإرسال بعوث علمية إلى أورنة اختار  
 أفرادهم من لأزهر وغيره من المعاهد ، وقد بلغ عدد هذه البعث  
 في رمنه نحو من ٣٢٠ طالماً ، وقد كان هذه البعث صدى كبير في  
 أورنا والشرق . وه تكن حركة محمد علي مقصورة على مصر ، فقد



تعدت إلى الشام حين انضم الشام إلى الدولة المصرية ، ومن آثار  
محمد علي في الشام إنشاء فروعاً ، مدرسة طب القصر العيني في حلب .  
وقد رأى عقلاء الشاميين اثمرة الصالحة التي حتمت مصر من هذه النفوثة  
والأعمال العلمية والاصلاحية التي قام بها محمد علي في مصر ، فحدثوا ايقديون  
مصر وأول حركة تقديدية قامت بها سورية هي حركة تأسيس ما هذ علي  
عرار معاهد محمد علي وعقده في مصر في ( سنة ١٨٣٤ م ) نشأ  
الآباء العربيون مدرسة نظامية في عين طورا فله رضى لأوربيون  
والأميركان ميل الشمين إلى العلم والحصارة الأدبية التي رزوا ثمرتها  
في مصر أخذوا يتفنون على تأسيس المعاهد في سورية وفي سنة  
١٨٣٥ م أسس الأميركان في بيروت مدرستهم الكبرى ، كما أسسوا  
مدرسة أخرى في عية لسان ( سنة ١٨٤٧ م ) وفي هذه السنة أسس  
السوغيون مدرستهم في لسان وهي التي صارت فيما بعد جامعة عظيمة  
وفي ( سنة ١٨٦٠ م ) أسست المدرسة الإنكليزية بعناية امير طمس .  
وفي ( سنة ١٨٦١ م ) أسست المدرسة الإنكليزية الأميركية للمنات ،  
وجعلت فروعاً كثيرة لهذين المعهدين في جميع أنحاء لسان ، وفي  
( سنة ١٨٦٣ م ) أسس العمقري اللساني اعلم بطرس لستاني مدرسته  
الوطنية الى خرج منها جمهور كبير من علماء الديار الشامية . وفي  
( سنة ١٨٦٤ ) أسس المطريرك عور يعوريوس يوسف الكاثوليكي  
مدرسة كبيرة .

ومن نسب الحركة العمية في مصر ظهور الطبعة العربية فيها  
 فقد نسبت أول مطبعة فيها أيام ربيع سنة ١٧٩٨ وقد كان في هذه  
 مطبعة عدد من العرب العرسمين مع عدد من العرب السوريين الذين  
 كانوا تعلموا هذه الصنعة في رومية ومن كثرهم به يس فتح الله ويوسف  
 مسكي وقد ظلت هذه المطبعة عامرة بحواريهم سمات ولما خرج  
 لفر - ربيع سنة ١٨٠١ - خدوه معهم وطأت مصر بحواريهم من  
 عشرين سنة لا مطبعة ، وما بهن محمد علي تشاطمته الأهلية  
 سنة ( ١٨٢١ م ) في بولاق وعهد في مدرستها إلى بقولها إلى مسكي فقام  
 عمله خير قيام وظل فيه إلى أن مات سنة ( ١٨٣٠ م ) وكان يدرس  
 طائفة من الطلاب الأتراك على الصنعة . وم يكن هذه المطبعة  
 هي الوحيدة في مصر قبل الأتراك كبر من لزاج نظيرك الأقسط كاف  
 في سنة ( ١٨٦٠ م ) روفيل عبيد السورى أن يقوم على إدارة مطبعته  
 التي استحصرتها من أوربة وقد شاع عن ظهور الطبعة في مصر أن  
 ظهرت الصحافة . وفي أيام محمد علي وجدت مجلة الباقع المصرية  
 وقد استمر ظهورها حتى نهاية عصر محمد علي . وفي أيام عباس الأول  
 وسعيد الأول ( ١٨٤٩ - ١٨٦٣ م ) نهض شامها . وقد رعى السوريون  
 قائمة الصحافة فوجدوها في بلادهم وأقدم الصحف السورية مجلة مرآة  
 الأحوال التي أوجدها رزق الله حسين خاني في الآستانة سنة ( ١٨٥٥ م )

وفي سنة (١٨٥٨ م) وجدت جريدة حرة لأحمد رضى بيروت ثم  
تتابع إنشاء الصحف ومطابع في سورية إنما في مصر ومصر كانت  
العربيين الذين خلف محمد علي كانوا لا يهتمون بهذا النوع من الأدب وقد  
جاء إسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٨٢ م)، وكان يحب لأدب وهذه الصحف  
الصحافة ورعاها فسمع بعض السوريين بذلك فتوافدوا عليه وفي عهده  
أنشأ سليم وإسماعيل نقلا جريدة الأهرام في الإسكندرية سنة ١٨٧٦ م  
وفي سنة ١٨٨٠ م أنشأ الأديبان السوريان الشهيران أديب إسحق  
وسليم المقاش جريدة المحروسة فسميت كل رواج، وهناك أحرون أنشأوا  
صحفهم في مصر ولكن لم يستمر منهم إلا لأهرام والمحروسة ولحق  
لإسماعيل يدأ كبيرة على الصحافة السورية في مصر، فولاه لما عاشت  
هذا العمر الطويل وولاه لما رقى سموها رقياً جعلها فصل مثب  
الدرجات من الصحافة القديمة، ولحق أن أكثر فصل في ذلك  
يعود إلى سليم المقاش وأديب إسحق فإيهما كانا ذوي قلم سيال  
وأسلوب متين.

وكما ازدهرت الخرائد اليومية في مصر فصل السوريين زدهرت  
المجلات فيها، وأول المجلات السورية العلمية طهوراً في مصر بحمد روضة  
لمدارس التي تأسست سنة ١٨٧٠ وكانت مجلة علمية نادرة طيبة، ثم  
أنشأ لفتطف سنة ١٨٧١ وكان أول أمره نشر في بيروت ثم انتقل

إلى مصر سنة ١٨٨٦ م . وفي سنة ١٨٧٧ م صدرت مجلة الشفاء في مصر  
 للدكتور شمل شميل ، ومحمد الحقوق لأخيه مزين شميل ، ثم توالى المجلات ،  
 فانت ترى قوة الصلات بين القطرين ، وما ينفعى لما نرى نسي أن  
 الأهر بدأ قوية في أحكام هذه الصلات ، فهو الذي كان يخرج رجال  
 لأدب والدين عند مسلمين ، وهو المبعث الوحيد الذي كان يدعوا إليه  
 الشمامسة في الدين والدين ، وقد كان المصريون يرحلون  
 بهم كل ترحيب ويعتقدون عليهم المطايع والحرايات ولا يقعون في سبيل  
 من وفي نصيب من العلم والشطآن يتولى الوظائف الكبيرة في مصر  
 كمشيخة الأزهر ومشيخة زرقته ، وقد مصر وانتدرس في المعهد .  
 وفي عصر إسماعيل رآق الأهر قيا محسماً فقد كان يدرس فيه  
 فصلاً عن علوم الدين ونبذة العلوم الحكيمة والمسمية والرياضية  
 والتاريخية وهذه علوم كانت حدة درة في الشام في تلك الفترة  
 فمصر الأهر عادت هذه العلوم إلى الشام .

وما ينبغي أن نسي فصل السيد جمال الدين وسيد محمد عبده  
 وعبد الرحمن الكواكبي في إحياء الثقافة جديدة وبعث الثقافة العربية  
 القديمة الصحيحة ، وما تكن حركة الأفعى مقصورة على العلم وحده بل  
 تعتمد على السياسة ، في مصر أمست أول جمعية سياسية اشترك فيها  
 من رجال مصر والشام وهي جمعية مصر الفتاة ومن أعصائها

المؤسسين جمال الدين وأديب إسحق وسليم النقاش وعبد الله بنديم  
وقولا توما وغيرهم من حملة الأقلام السوريين لقيمين في مصر وقد  
أصدروا هم حريدة باسم « مصر الفتاة » وكان ذلك في أواخر عهد  
إسماعيل. وكان هذه الجمعية أثر كبير في تطور السياسة المصرية ولسياسة  
الشرقية. والحق أن حركة السيد جمال الدين كانت حركة قوية  
امتدت إلى الشام وعبره من قطر الإمبراطورية العثمانية لأن دروس  
الشيخ جمال الدين كانت عامة بمصر مصر يون والأتراك والشاميون  
والحجازيون، ولم تكن تلك الدروس كدروس غيره من شيوخ الأهرار  
فقد كان الشيخ يتخذ الكتب الأهررية وسيلة إلى شرح أفكاره  
ونمية عقول تلاميذه. وقد اعتمد الشيخ على نفسه في تدبير أفكار  
تلاميذه واعتزازهم بأنفسهم، فقد كان الشيوخ قبله يمنعون تلاميذهم من  
الاعتراض بأرائهم ويمنعونهم من مناقشة كلام المعلمين ويعتبرونه كأنه  
كلام رب العالمين، فإذ هو يقول لتلاميذه: « قدس كل كلام وقلوا  
الصواب واطرحوا الخطأ » ولم تكن دروس الشيخ مقصورة على دروسه  
في الأهرار فقد كانت له محام في المناسبات والسياسات وكان يجتمع إليه في  
طائفة من الفضلاء كسعد رعلول وسليم نقاش وأديب إسحق وعلى  
مظهر وغيرهم من أدباء الشام ومصر. وفي هذه الحائس أيضاً وحده  
الأفغاني الأدب العربي نوحياً جديداً فقد كان الأدباء والكتبة قبله

لا يحفظون سور القريم فما شيع فقد دعا إلى تحكيم هذه الأسوار  
وبحكمهم عقل وندوق، وكان الأدب قيله أدب ألقاظ وزخرفة فخار به  
الشيخ ودعا إلى ذب يعتر عن نهضة الشعب وكان الدين قيله دين  
تقييد وحرقت تحط الشيخ هذه المبادئ لك الحرف وأرجع الدين  
إلى ما كان عليه الفاضل، وكانت السياسة قبل الشيخ خموماً  
أحسني لمحبين ودعا إلى الثورة وإلى أن يعيش الناس حرراً  
في آدم

هذه هي الخصوص الأوية حركة الشيخ في سنته وفي مقامه وفي  
مدارسه، وقد ستمها طالانه فبيع منها من المصيرين بعد رعلول  
ومحمد عمده ومن أشد من ذب إسحق وسليم عمجوري .

وقد انقلت دعوة الشيخ إلى الله واستمع لها فيه السيد  
عبد الرحمن الكواكبي الحبي ص حب كخاني « طابع الاستمداد »  
و « أم القدي » الذين ضمنهما وصف ما كانت عليه البلاد إذ ذاك  
من اضطراب وفوضى في السياسة والاجتماع ودعا إلى مادعا إليه  
الأدعي من تخطيط تلك الفيود التي قيدت البلاد بها وما اضطرت  
الطروف الشيخ محمد عمده إلى أن يحى إلى الله ويقم في بيروت وجد  
في البلاد مرعى خصباً لآراء الشيخ الأدعي فعمل على إحيائها وقد  
التف السوريين حوله مدة ١٨٨٥ . يتلقون عنه دروس العلم  
واحكمة والخبر .

ولما طلب اذ الى مدحت شاي الشيخ لإمام سبطه مشور مدرسة  
التي كان نسيها في بيروت وصنعها شيخ مبرجاً، صحيحاً معتمداً على  
ممدى استقاده الأفغاني وبلغت مدرسة العلامة حد ذلك وحدث الشيخ  
يقضي كل مهارة في المدرسة وفي أثناء إقامته فيها «درسته» القيمة  
في الله حيد وشرح لصلاته «مخرج الصلاة» و«ديوان الحماسة»  
و«مقامات البديع» وقرأ صنفه من الكتب القيمة على ما يعين من  
تلاميذه مثل كتاب «الإشارات» لابن سينا وكتاب «التهذيب»  
في المنطق وقد كانت دروس الشيخ في بيروت تفيض بالتلاميذ  
والناس يتقاطرون عليهم من شتى الأنحاء وقد أحدثت إسماعيل الشيخ  
في بيروت انقلاباً عظيماً، فقد كان شيوخه يدرسون في بيوتهم  
ولا يفتشون عن أئمة الطلاب ولا هم لهم إلا قيس ذلك في  
السطر وغيره حاولوا أن يمدوه وسموا عنه منهم من نجح ومنهم من  
أفلق ومنهم من كان من شئ في إن الحميم ذو خطبه سببه وسموه  
جهوداً لم يكنوا وادّعى لولا وجود الشيخ، ووجود الشيخ في داره  
أصبحت تلك الديار مزاراً يشع بوره فقد كان الشيخ لا يحضر جهده على  
تثقيف التلاميذ بل كان يتفقد رجالاً ويوجههم به حسب حاجتهم،  
ويبحثهم عن علمه في آخر الشرق فيقول في بعض كتابه: «أما العلم  
الذي يحسن بحسن إيمانه، فيظن قومه أنه عالم الفساعة، وما به صلاح

مادة العمل في الزراعة والتجارة مثلاً ، وهذا ظن باطل ، فإننا لو رجعنا  
 إلى ما يشكوه كل منا نجد أن وراء الجهل بالصناعات وما تنفعها ، إن  
 الصناعة ، وحدثت نذير نجد فيهم عجزاً عن حفظها ، بل المنفعة تنهياً  
 أم ثم تمتعت فاشي . في موسم فمحن نشكو ضعف أهم وتجدد  
 الأيدي ونه في الأهواء والمغلة عن المصلحة الناشئة ، وعلوم الصناعات  
 لا تفيدنا دفعاً ، تشكيه ، فطوبى وراء هذه العلوم لا وهو العلم الذي  
 يمس النفس وهو علم الحياة البشرية ، والعلم الحبي للمفوس ، هو علم  
 ذب النفس وكل ذب لها هو الدين فما فقدناه هو التمجيد في آداب  
 الدين ، وما يحسن من أنفس طلبة هو المعرفة في الدين ، ولا أريد أن  
 يطالب عملاً محفوظاً ولكن طلب عملاً مرغبتاً محفوظاً ، وما ودعته الديانة  
 من الآداب النفسية والكلمات الروحية لم يختلف في صحته أحد من  
 البشر حتى من يظن نفسه غير آخذ بالدين . فإذا استكملت النفس  
 زانها ، وقت منزهة من الوحدة ودركت معرفة الحق في صلاح العالم  
 ونهتست لغيره ونهتست بحاجتها إلى مشاركتها في الوطن والملة  
 فأحدثت بانفصيلة الجامعة للعصائل وهي ما يعبر عنها بحب الوطن والدولة  
 والملة ، ولا تريد من الحب ميلاً حياً ، ولكننا نريد منه ميلاً يبعث  
 على العمل كما يرشد به الدين والآداب . فحتى تحت المفوس بهذه  
 المفصلة نصرت مواقع حاجتها وتدفعنا إلى طلبها وطرقها كل



باب لا ترفع حتى تظفر أو يدركه الأجل .

فأنت ترى أن السيد الإمام لم يقصر عمله على تهذيب الشبهة  
الديرونية بل كان يدعو لرجال إلى طريق الإصلاح الذي كان يدعو إليه  
أستذه . ومن يعرف حال سورية قس محي ، لإمام إياها من الجهل  
والفساد ثم يعرف الحركة الوطنية التي وهبها أحرار سورية تحرير  
بلادهم من الأمير التركي تتحقق له أن تلك الشبهة التحريرية ما كانت  
إلا استعديّة لدعوة الشيخ الإمام رحمه الله وهذا أثر حديد من آثار  
مصر على الشام أن تنساه أمد الدهر ، وقد كان للشيخ الإمام حقائق  
في بطنه كان يؤمنها طلاب الحق من جميع المشرق والمغرب وقد كان  
يخاطب كلاً على قدر عقله ويعمل على توحيد الصفوف وهـ الشميل  
بعد أن فرقتهم السياسة الزكية الضالمة

ول فيه شكيب أرسلان : كنت ترى جميع المشرق والمغرب والظوائف  
يدون استثناء تردده حول ذلك سهل العذب ، وكان هو لكمة عقله  
وعلو إدراكه وبخاصة نظره معهم مع كل قبيل منهم كأنه نشأ فيهم ،  
وكان يحصر بحسه هذه الأمة ويختدو الشيعة وعهلاء الدرور وسهلاء  
لمسيحيين ولهود ، وكان كل أولئك لا يحدون عصاة في التردد  
عليه بل إن مجلسه لم يكن يخلو من ملاحدة الدين كانوا يقصدون إليه  
لسموع آراءه في الإحيات والأديان فكان الأستاذ ساطعهم بكل نوادة

ويجوز لهم لشكالات التي كانوا إذا سألوا عنها غيره من العبداء منحرم  
الطوبى عنها فكيف ترمي مصوتين إليه حيارى أممه لا يدرون ماذا  
قولون مع أنهم قبل حصولهم في محبة قد كانوا منهم يعجزونه  
كما نحره غيره »

وأعز الشيوخ على ترك الشيء حرمت عليه بلاد وودعته قلوب  
حرسة كما ودعه هو بحر كثير لأنه كان يرعب أن يطول مكثه حتى  
يرى ثمرة عرسه عبيه وم يترك الشيخ لدير الشمية حتى حلف فيها  
بلا مريد خوفاً بشره مصادته وعموا على تحقيقها ، يذكرهم السيد  
الكواكي والشيخ بدر الدين العمري والسيد نعم اللبكي ، ولكل  
واحد من هؤلاء كراه في الشيخ تدل على مكانته عنده وهما نحن أولاً ،  
نسوق إليك هذه الكلمات .

قال معصوم له بدر الدين المعشاني : إن الإسلام لم يجب  
عبد من يمية بغير محمد عبده وإن لمحمد عبده فضلاً على الإسلام في  
بدر شمية ، نحن كثير من قصد على مصر إن الله حبا مصر  
بحمل ندين لأفغانى وأحمد عربى فأما جمال الدين فقد بث فيها العقل  
الصحيح ونه عرابى فقد دعاه إلى ثورة على الظلم . والشام لولا  
محمد عبده ، بهتته لقصرة وفي كانت تعسط في الجهل والصلال ،  
والعبودية ، فمعتد الشيخ وبفضل دروسه تفتحت عيون أهلها  
وقد السيد عبد الرحمن الكواكى وقد سألته أخيراً عن حلوى

عن الإمام : إن فريضة أخرجت كثيراً من العلم ، في المصنف وأما  
 المختصة دون الفاسدة وبكسها أخرجت فيسوء واحد بعد جميع الفاسدة  
 وهو ابن خلدون ، وكذلك مصر أخرجت من لا يخصى من العلم ،  
 دون الفلاسفة والحكماء ، ثم أخرجت أخيراً حكماء وفي جميع حكماء ،  
 وهو الشيخ محمد عبده .

وقال السيد مود للكي في كلمة برقي (١٩٠٠) : إن مص  
 المصري بالإمام لمس لأنه كاتب وأمس لأنه حبيب وليس لأنه عوى  
 بل لأنه هـ الذي استعده كل ما وصفت الطبيعة منه من القدرة في  
 سبيل إصلاح الإسلام فهو مصلح الإسلام ومن أصبح للإسلام فقد  
 أصبح الشرق ، فمحمد عبده هـ مصلح الشرق .

رأيت ثم سبق قوة لدالات العمية والعقوبة بين القنطريين في  
 عصر النهضة مدد به محمد علي حتى العصر الأخير وأتت الأثر  
 الكبير الذي أحدثته زيارة محمد عبده مصر في عيني هذا المصنف  
 آخرين كان لهم الفصل في ثقافة السلاط بين القنطريين يذكر منهم :  
 الدكتور بشارة برن اللباني وكان من رجال العلم وصاحب نش في  
 مصر مع برهيم البارحى بحجة الدين سنة ١٨٩٧ .  
 والسيد محمد البربر البيروني ( ١٨١١ م ) كان شاعر وصال  
 أقام في دمياط طويلاً .

والسيد جبرائيل مخلم الممشق ( - ١٨٥١م ) كان أديباً بالعربية  
والفارسية والتركية ، رحل إلى مصر  
وتقلب في وظائفها .

والمعلم بطرس السمتاني الكبير ( - ١٨٨٣ م ) صاحب محيط  
المحيط ودائرة المعارف . رحل إلى  
مصر وعظم قدره فيها .

والشيخ حبيب اليازجي ( - ١٨٨٩م ) العالم الأديب الأشهر  
أقام في مصر ولما تار عراى اشترك  
معه وفعلت محنته « مرآة الشرق »  
وقد كان لشعره وأدبه تأثير عميق في  
الكتاب المصريين والشاميين .

وأحمد فارس الشديق ( - ١٨٨٧م ) العالم اللغوي رحل  
إلى مصر وكثر طلابه فيها وأحبه  
رجالها وله فيهم أثر حسن .

والشيخ عبد العي برهمي ( - ١٨٩١م ) العالم الفقيه الأديب  
رحل إلى مصر وأخذ عن شيوخها  
وقد استفاد .

وقد كر شفيق المصني ( - ١٨٩٦م ) الشاعر المرمع

الكاتب رحل إلى مصر وأنشأ مجلة  
الكثافة وترجم كثيراً من الكتب  
الفرنسية ومن أهمها كتاب قولني  
عن مصر .

والشيخ محيى الحداد ( ١٨٩٩ . ) الشاعر الع  
الكاتب محرم الأهرام وصاحب  
« لسان العرب » التى أنشأها فى  
الإسكندرية .

واسيد سليمان الصلا ( ١٨٩٩ . ) الشاعر رفيق حل  
فى مصر ومرب من إرهم .  
وكان من أهمه فى مجلة السور  
وهناك مثات من الع . والكاتب . شحيم . زرب المطا  
والمصانع من السورين لدى رحوا فى مصر وكان هم فيه ثم مسكور  
كال ريدان وآل مرمى وآل لورحى وبعدهم ثم صديق مدد تعددهم .  
أما الصلات فى الأهم الأخيرة فهى الصلات القديمة نفسها ، فالأزهر  
لا يزال المحجة التى يحج إليها الشاميون طلب الدين ، ورحلات  
العلمية لا تزال قوية بين البلدين . ولكن الشئ الخديب الذى حدث  
فى الأيام الأخيرة هو ظهور الجمعه المصرية ورقى الطباعة المصرية  
( ٧ )

واتسدر الكتب نصري في اندر الشميه نشرأ عجيباً . أما الجمعة  
فقد كان له فضل عظيم في نشر الثقافة لأوربية والعربية في الديار  
شميه . وفي اجمعين . مصرية ولإسكندرية . اليوم أكثر من  
مئة شب مصري ومنهم أكثر من مثني صاب لمدني وفلسطيني  
وإدني . كل واحد من هؤلاء الصلاب سيعود إلى بلاده ناشراً العلم  
الذي نفعه في خدمتين شكرياً مصلهما . وأما الطباعة المصرية على  
خدمتي دوماً وتعدد مدتها فيها ذات فضل عظيم على القارئ  
في الشام من نفعه إلى نفعه . ولا كتب مصر ومجلاتها وشراؤها  
الكل الأدب في ليدر الشميه شأن آخر . على أن هذا شأن يجب  
أن يصف إليه القارئ على ثقافة في مصر وهو طبع كتب الأدب  
لرحبتهم في مدته في ذلك الصبيحة . وقد طبعت موحدة هذه  
الكتب على بعض المصاحف وأحدثت أكثر من مائة من بينهم كل شيء  
نفع مدته عنه ومحبته من مصر .

هو وما معنى أن نسي ما لشعره شعراء في الأيام لأخيرة من  
توفي بقوة من المدين . فقد حب الشعر دوراً عظيماً في  
تقوية مدته . وقرأ تكاتف شعر مصر واثم كما تكاتف  
ذوهم تكاتف عجيباً . ولا يحبون لآلام حتى مر بها كل من القطارين  
في أيامه لأخيرة ود أحدث بين البطرين . ولا غرو ولا لآلام كانت

شديدة ولم تكن تقع حادثة في الشام حتى كمت نحد صدها في نهر  
 المصريين أو في شعهم ، كما نك كمت لا تسمع بحادثة تجري في  
 وادي النيل حتى نحد صدها في شعهم الشميين أو في نهرهم ومن أكثر  
 شعراء المصريين ، أثر بحوادث الشمس حفاط إرهم ، نحد سوفى .  
 أما حفاط فقد مطرت نفسه على حوادث بيروت لم رشفها  
 الطير وقال في ذلك قطعه تمثيلية رائعة تصور ثورته على الضيق  
 الذين خرجوا من المدينة الآمنة وقد صور فيها حفاط يخط نفسه الأخيرة  
 وهو يتعرق على لاده لا حواف من الموت بل لأنه لم يستطع القيام  
 بحق وطنه فيقول :

لم نص حق بلادى وهنا قد قصت

يا بنى لم نعلم موت قس لأول  
 حتى رى الشرق يسمو رى عمدا الزمان  
 وليعلم العاقب كأمه لاهل  
 لا ترضى العنس بحرى في دة وهرب

ولما حلت الحرب العالمية الماضية ، بالته ونقطت العلاقات بين  
 مصر والشام وأحصى طلاب العلم في مصر من السوريين لا مورد لهم  
 هاجت عاطفة حفاط النبيلة فتألم لهم ودعا كرمهم مشربين ووجههم

إلى حمه في دار لأور الملكية ابتدعه هؤلاء النسين وقل في ذلك  
قصيدة من أروع الشعر وصف فيها سكنت الحرب ودعا إلى مواساة  
هؤلاء الطلاب وفيها يقول :

أيها الوسمي زُرْ نَتَّ الرُّبَا	واسق العَجَرَ إلى روض الزهر
حيته وانثر على أكلامه	من نطاف المياه أشباه الدرر
أيها بره أفق من ســـــــــــــــــمة	اصططح من حمرة لم تنقص
من رحيق أمه عذبة	سافه تحت الدحي روح السحر
واضع البوص شمر طيب	عنه يوقظ سكان الشجر

\*\*\*

كل يوم مئة نظرفنا	محبب من أعاجيب العر
أم نبي وركب نهي	وعروش تهادي ومرر
محيوش محيوش سبق	كسول دفقت في محدر
ورحال تـــــــــــــــــرى للردى	لا تبلى عاب عم أم حصر
وحروب طاحب كلبا	طفئت شب طاهر واستقر
ضجت الأفلاك من عووف	واستعاد الشمس منها والقمر
في الثرى في السه في شم المدا	في عباب البحر في مجرى الهر
أمرفت في حلق حتى أوشكوا	أن يببدوا قل ميعد الشر
فاحمدوا ثم احمدا الله على	نعمة الأمن وطيب المستقر



نعمة الأمن وما أدراك ما ' نعمة الأمن إذا الخطب اكفهر

\*\*\*

إن في الأهر قوماً بشر من طي يراهم مص الشر  
 ضحكوا - لا والله يا - في عبء وشدة وصجر  
 رلاء نكس إن يرهقوا . بما موا لهم جدي الكبر  
 فأعينهم فهم إخوانكم معهم صبر وناهم عسر  
 أفرصوا الله صاعف أحرك إن حذر الآخر آخر مدح  
 ومن روع شم حفظ لدى بصيرت شدة حذر القطر  
 وتبيده إلى وش في الخمل لدى فومه سوي من كانه في مصر  
 وفيها قول .

لمصر أم لربوع شام نكس هنا الملا وهناك المجد والحسب  
 ركس للشرق لا اتروهم فاب شاعر علم حافق يحب  
 حذران للصد لا تبهت سمعهم ولا تحزن عن معهم الأنا  
 أم اللغات عداة المجر أمهم . إن سبب عن الأنا . هرب

\*\*\*

إذا أمت وردى المين باره مات ها سيات الشام تضطرب  
 وإن دمع في تزي الأهرام دم ألم حبه في نر المين ميمح  
 لم أخلص الميل والأردن ودم تصبحت مهمم الأمهات والعشب

بالواديين تمشى البحر مشته  
 فدل هذا سجد دونه ديم  
 نسيم لمن كما جادت عطرة  
 في الشرق والغرب نفس معطرة  
 ولا طلاب العلم ينتعوا بدلا  
 صموا إلى الكس محمد دوما فنت  
 فبين كانت الشميم كها  
 هدى يدى عن بنى مصر نك حكي  
 وصف حوفا تصفح بعضها العرب

وكان حافى كثيرا ما يدكر في شعره الصلات التي تربط البلدين  
 مد برمال العرب ، ويتمنى لو اجتماعا واتحدا اتحاداً قوياً .

إنا الشام والكعبة صموا  
 أمنكم أمكم وقد أرضعتنا  
 من رغم الخطوب عاشا لراما  
 من هواها ونحن نأبى القطاما  
 وانظر إليه يدعو إلى التوحيد بين القطارين فيقول :

نحن في حاجة إلى كل ما يسمى قدما ويربط الأرحاما  
 وقد أكر الشاميون هذه الموطف البيلة التي وحدوها عند شاعر  
 النيل ، وليس أدل على ذلك من قول الأستاذ شفيق جبري يحويه لما  
 رار دمشق :

أشدت شعرك في فناء مس فرحت نمر وسواسي وشيطاني

بالأمس شوقي على أفناننا غرد  
واليوم حائط متدد قد  
ونبت مروان توحى من ناطقها  
وشى القرائع عاشت مت مروان

\*\*\*

يا طاوى اليم في دجناء زاحمة  
على صفيح من الأمواج مردد  
يمفو به الشوق والأجفان تكتمه  
إلى أراخط من مهر وغسان  
حتى صدف الحى والليل وانقست  
به المطى إلى أهل وجيران  
من عهد عدنان ما أبلى عروبتهم  
وطء هراهرى من عدى  
سرى دمشق وبأدم إن نزلت بها  
عصاه بدمتهم روح حسد  
هذا الرحيق وفى طالانه ردى  
يجرى بروض على الفيحاء رنان  
تحية يا ضفاف النيل طيبة  
نحوى به الريح وشيح وعودان  
الشام من ودك الريان فى صلة  
محكمة الدنى فى قرن وإمعان  
من عهد عمرو فارتت ولا بليت  
قد نقتتها الليالى أى إنقان  
إذا نكت حسن الليل من أله  
بكت دمشق بدمع منه هتان  
أواصر بيدان العرب محكمة  
النيل والشام فى الآلام صنوان  
هما النجيبان فى تصوير جرحهما  
تصوير جرحهما همس بأذاني

\*\*\*

لكن مصر أو إن هشت وإن عبست  
ركن العروبة للقاصى وللذانى  
يأوى إليها من الفيحاء منهم  
فبستظل بظل العاطف الحانى

نمت على الشرق من آيت مصته ما أنقذ الشرق من ذل وإذعان  
 مات حبيب مكة أدب الشام ونقطت قلوبهم عنه . وإليكم  
 قول بعضهم :

قال شعق حبرى .

سنتون عاماً على كرههم هذب عيباً ولم تهذب أعيانها  
 مات منهم على من ندمه حتى طمأ على الأشجس طوبى  
 وطرح من ندمه عن كاهل عذمت من حاديه ولم تهذب عودها  
 ن وقمة لك في أوقافهم عيباً عن أمة مص مصته ومستهجب (١)  
 بحيث منهم صيد وإن ورحله ذب شهوة ممة ممة حتم  
 فتوة ماثت ذمهم صبرهم وكبرة نمت سقر حه شهم

\*\*\*

أكن روحاً بر حذت بر هربت ناس مصر ممة تهمل ممة  
 عيب وادى حرم في شر بهفته وحاصت المهمة المحرم وإديها  
 قد كنت بليلها الفريد هيجه عون على مصر محتل روايتها  
 وقال عادل مضمون :

شقوا الحبوب وكسه الأعلام ففقدت برهم مصر إمام

(١) إشارة إلى قول حبيب

وود وبعث على من ندمه نسوب ندمت حر أكن

أودى إمام الشعر من محرابه      فالناس حيرى والصحاب ينامى  
 وصوى ملاك لموت صدحة شعر      يسى القلوب ويسحر الأحلاما  
 جزع الشأم وأمسخت قفحاته      ورنا يشارك فى الأسمى الأهراما  
 وتأوهت دول الحجار وشاطرت      لبنان فيه ودجلة الآلاما  
 دس معرفة أهاب بشملها      جرح نخين عز أن يلتاما  
 فى كل قطر للملاغة ماتم      يبكون فيه يراعة وحساما

\*\*\*

ألم شوق فقد فنى الشميون شعره وحلوه      حلالا ما بعده إحسان  
 ولا عجب فإنه فوق مكانته الشعرية الشامية      التى تحتها إمارة الشام  
 كثير لذكر الملاد الشام وشعره سجل كبار حوادثه      فى راسق  
 الطويل يمت بكاهها بقطعة من أروع الشعر فىها :

يرب أمرك فى المالك نافذ      والحكم حكمك فى الدم المسفوك  
 إن شئت أهرقه وإن شئت أحبه      هو لم يكن لسوء سموك  
 يبروت مات الأسد حتف أنوفهم      لم يشهدوا سبعا ولم يحسوا  
 سمعون ليثا أحرقوا أو أغرقوا      باليتم قتلوا على ( طرود )  
 كل يصيد الليث وهو مقيد      ويعز صيد الضيفر المفكوك

\*\*\*

بروت ناراح لبريل وأسه      بمضى الزمان على لا أصلوك

الحسن لفظ في المدائن كلها      ووجدته لفظاً ومعنى فيك  
نادمت يوماً في ظلالك فتية      وسعوا الملائك في جلال ملوك  
ينسون حسنا عصابة جلق      حتى يكاد يخلق يفديك



إن مجهولك فإن أمك سوريا      والألق الفرد الأشم أبوك  
والسابقين إلى المعاهر والعلا      بله المكارم والندى أهلوك  
سالت دماء فيك حول مساجد      وكس و مدرس و (منوك)  
لك في ربي لبيل لمرك حيرة      لو يقدررون بدمعهم غسلوك  
ولما نكت سورية سنة ١٩٢٥ دعا إلى حملة في نيزرو الأرميكه  
لمساعدة للمكويين السوريين وفيها أشد مصيدته الرأفة التي لا تحدد  
شامياً مشقة لا يحفظها وبيتك مصر مقطع منها :

سلام من صبا بردى أرق      ودمع لا يكفك يا دمشق  
وممذرة البراعة والقوافي      جلال الرزه عن وصف يدق  
وذكرى عن خواطرها بقلبي      إليت نلت نداءً وحقق  
وبى عما رمتك به الليالى      حراحت لها في القلب عمق  
دخلتك والأصيل له اثتلاق      ووجهك ضاحك القسما تطلق  
ونمت جفانك الأنهار تجري      وفضل رباك أوراق وورق  
وحولى فتية غر صباح      لهم في الفضل غايات وسبق

روية قصصه وشعره بكل محبة يرويه خالق

\*\*\*

لحائها الله أنباء تواتت على سمع الملقى فما يسق  
تكاد لروعة الأحداث فيها من الحرفة وهي صدق  
وقيل معالم التاريخ دكت وقيل أصهار تلف وحرق  
ألست دمشق للإسلام ظفراً ومرصمه لأمة لا تنق  
وكل حضارة في الأرض طالت لها من سرحك العلوى عرق

\*\*\*

انصحت ونحن مختلفون داراً ولكن كك في الهم شرق  
ويجمعنا إذا اختلفت بلاد بين عبر محض وطق  
وقتم بين موت أو حياة في رمتهم ميم لدمر واشقما  
ولالأوطان في دم كل حر يد سمت ودين مستحق

وقل بمناسبة الاحتمال بدكري شهداء سورية واستقلالها:

بنى سورية التثموا كيوم خرجتم تطالبون به الزالا  
سلوا الحرية الزهراء عنا وعنكم هل أذاقتنا الوصلا  
وهل نلنا كلاماً اليوم إلا عراقيب المواعد والطلالا  
عرقتم مهرها فمهرتموها دما صنع السباب والدعلا  
وقتم دونهما حتى حصنهم هودجهم الشريعة والحدلا

دعوا في الناس مفتونا جيانا يقول: الحرب قد كادت وبالا



ماتت ما حيث حذر ور	تظهر حتى ركب الرمالا
ماتت ما فمت مسعون	يدكر مصرع الأسد الشبالا
قد أوحى بي عما شح في	كما أوحى القصور إلى الشكالي
أهيب (عظمة) مطبات فيه	وؤن سبيد بقي النبالا
تري به، المعينة في ثراه	شوق من حواءه احلالا
شئ وماتت قد في من فرب	نحر مطوف بصر احتبالا
مألن حو أساحه حدود	ووجه الأرض أسلحة ثقالا
مألن الرياح عنه ما	فما حفل الجنوب ولا الشمالا



مكمن بصره واهوى  
مات حيث حار وحيث صالا  
يد مارت به لأحسن تقي  
سمعت بك أيرا وانهالا  
تعلق في صمغهم صمد  
وحقق في سرانهم هلالا  
وقد اندس في معنى شوم ومن وحة كثيرة حلا ندل على  
تعبه أشد دشم وأهد

وما مات شدي كاه شعراء أشم فاضه . ويك مص ما قالوا :



قال خليل مردم ت :

شوقى وهل أرتبه يوم خلوده      فالسيف يعنى شاهراً لا عامدا  
دعنى أشد بالعقربة إنها      كالشمس إن غربت أرتك فراقدا  
العقربة محبة قدسية      تحيى الرميم وتستثير الخامدا

شوقى وأنت رسالة علوية      مرت على سمع الزمان نشائدا  
روح من الله الكريم ورحمة      أحيأ بها ميتاً وأيقظ هاجدا  
فرفعت للمصحى بمصر دولة      كانت تطالع فيك نظماً صاعدا  
نوحى مصر وشدت عرش خرها      وعقدت فى جيد الشام قلائدا  
للعرب وللإسلام فى آلامهم      كشت اللسان مترجماً والساعدا  
أضحى بيانك جامعاً أهواءهم      ومن الخول إلى النباهة رائدا

\*\*\*

كم موقف لك فى دمشق وهدى      قد هر يقطر دمه اقدا  
غنيتهما لحناً يفيض صباة      فتمت وهى العصور بوجد  
وشركتها فى نوسها وبعيمها      يامن رأى ولداً يشاطر والدها  
فى الجمع الأموى تمت مكرها      ودكرت محمد بنى أمية - حد  
خلفت فى الزهراء دمك جاريا      وتركت فى الميعاد قسك واحد  
واست جلق فى عظيم مصائبها      ونضحت عنها بالبيان مجاهدا

صعدت ثوب وحدث دمع في يوم محنتها فكان قصائدا  
وفى شه الجوى :

قفى في الحيد واهتف اسم شاعره  
فقدرة انتهى أدنى مقارنه  
وامسح حبيبت يركن لدى سحت  
شعة ألحى شعراً من مقارنه  
إلهة الشعر قمت في ميامنه  
ورقة شتر قمت عن ميامنه  
ما لعلاب في ليل مقفرة  
ولمسهل عصلا من حراره  
والمآذن في الفيحاء كاسفة  
كشمع السر في دحى مقارنه  
وللأصائل والأسفار ألتفتها  
عت من الريح إرهق محافره  
أودى القريض فلالحزان ما لست  
على سرير لدرارى من عذقه  
لسن نامصر مصر في مآته  
كما عمت مصر في شائره  
هل كان فسك إلا في حوكمه  
وكان دمعت إلا في محافره  
وكان ملت مصر غير ممتته  
وكان شاعر مصر غير شاعره

وفى اسم و شاعره في قصيدته ذات القوافى والبحوره

سعر امرت قصي  
سوى ثوب السواد  
وابرزى بين الللا  
وانديسه حاسرة  
زحزحى هذا النقاب  
لترى وجه الحزين  
أعرجى عن حجر عوده  
فعيون القوم عرفت في الدموع  
واحشدى كل بيت العرب  
ويديه بألحاح سافرات

وذرى القرب بسم يزنى من عبرات  
اذكره أنديه أنه تمرت مشحيت حلات

أما بعد . فهاتان صفتان مشرقان أشد للإشراق من نار  
هذين القطرين العزيزين السيامي والأدي . وقد زيناك سدة ناسك  
هذه القطرين . وحلاص أهل كل واحد منهما لأهل الآخر ومشصره  
آلامه وآماله . وإن استطع أحد أن يرق ما وحدثه الطبيعة واللغة  
والتقاليد . وما فرعونية مصر وفينقية لبنان إلا خديعة اخترعها  
المجرعون للتفريق بين الأخوين الحميمين والصديقين العتيقين .  
ورحم الله شعرايين حافظاً المثال :

إنا الشم والكسوة صوا ن نزع الخطوب عاش زاما  
أما أمك وقد أرسعتنا من هواه . نحن نأى العظاما

وفاة

مجمع هر كتاب في مجمع  
در مقام مجمع نو جمع  
۴۷ من أبريل سنة ۱۹۲۵  
سنة ۱۳۰۴







DT  
82.5  
.89  
T35  
1945